العدد (٢٦٨) | ربيع الاول ١٤٣٥ هـ

الهدى

شهرية ثقافية

المؤسسة الدينية.. نقطة الإنطلاق

مجلة الهدى شهرية ثقافية تصدر عن دار الهدى للثقافة و الإعلام

٤ وراء الأخبار

٦ بصائر

٨ المرجع والأمة

١٢ حوار

١٨ قضية الشهر

٣٣ رأي

٢٤ من هدى القرآن

٢٦ إضاءات تدبيرية

٣٤ مجتمع

٤١ رأي

٥٠ أسوة حسنة

٥٤ قراءة في كتاب

٥٥ بأقلامكم

٥٦ استراحة القلم

قال رسول الله، صلى الله عليه وآله:

«كيف بكم إذا لمْ تأمروا بالمعروف ولم تَنْهَوْا عن المنكر؟ قالوا: يا رسول الله وإنَّ ذلك لكائن؟ قال: نعم، وأشدّ، كيف بكم إذا أمرتُم بالمنكر، ونهيْتم عن المعروف؟ قالوا: يا رسول الله وإنَّ ذلك لكائن؟ قال: نعم، وأشدُّ كيف بكم إذا رأيتُمَ المعروفَ منكرا والمنكرَ معروفا».

دار الهدى للثقافة و الإعلام
العدد ٢٦٨ 2013 ١٤٣٤
كربلاء المقدسة

معتمدة لدى نقابة الصحفيين العراقيين بالرقم (٣٣٢)

للتواصل و الإستفسار:
www.al-hodaonline.com
رئيس التحرير:
mahdali12@al-hodaonline.com
هيأة التحرير:
editor@al-hodaonline.com
بريد المجلة:
Magazin@al-hodaonline.com
الهاتف:
٠٠٩٦٤٧٨٠٩١٦٢٨١٥
العنوان: كربلاء المقدسة
صندوق بريد ١٥٥

رئيس التحرير:
محمد علي جوادتقي
هيأة التحرير:
نعمان سالم التميمي
محمد جواد منذور
جواد الرضوي
الإشراف اللغوي:
خالد جواد العلواني
التصوير: حسين علي حسين
التصميم و الإخراج:
سرمد ناصر حسن

العراق	سوريا	مصر	الاردن	لبنان	عمان	الكويت	الامارات	ليبيا	اليمن	البحرين	قطر	الجزائر	السودان	السعودية
١٠٠٠ دينار	٦٠ ليرة	٥ جنيهات	١/٥ دينار	٣٠٠٠ ليرة	١/٥ ريال	٢ دينار	٢٠ درهم	١/٥ دينار	٢٥٠ ريال	١/٥ دينار	١٥ ريال	٢٠ دينار	٧٠ دينار	٢٥ ريال

جميع الحقوق محفوظة لدار الهدى للثقافة و الإعلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الاعتدال قوة وسط نار المعركة !

*** رئيس التحرير**

بين المخلصين والصادقين والأوفياء لشعبهم وأمتهم، لا مجال للمراء و الادّعاء بـ «الوطنية» والوقوف صفاً واحداً أمام التحديات الأمنية والسياسية التي تعصف بالعراق، كما تعصف بسائر البلاد الاسلامية.

ولا يوجد بين هؤلاء من لا يحبذ التعبئة والتحشيد وشحذ الهمم لمساندة قواتنا المسلحة في حربها ضد الارهاب، متمثلاً بالجماعات التكفيرية القادمة من خارج الحدود، بل هنالك من هو أكثر ذكاءً وحنكةً، باختراق الارهابيين وانتزاع المبرر الذي على اساسه يقاتلون ويذبحون ويفجرون.

أما نقيض حالة الذكاء (...) مما يتناقض ايضاً مع الاعتدال، فانه يجعل قواتنا المسلحة وحيدة أمام قوة عسكرية همّها الأول فتح اكثر عدد من جبهات القتال في العراق، في حين من المفترض أن يكون الارهابيون أمام العراق بأكمله، بما فيه من عقول وحكماء وثقافة وتاريخ مشرق.

لو نسأل المنزعجين من توجيه الانتقاد البنّاء بما يعزز المواقع والصفوف امام الارهاب؛ من كان هدف هذا الارهاب طيلة السنوات الماضية، وحتى اليوم والى إشعار آخر؟ هل كانوا غير أولئك المغدورين الذين سقطوا ضحية التاريخ والهوية؟ ومثالنا الأبرز والحيّ، الشهداء الأربعة من المفرزة الطبية التابعة لوحدة القوات الخاصة «سوات»، الذين استدرجوا الى كمين في مدينة الفلوجة وقُتلوا بدم بارد.

كذلك فعل ذلك الارهابي الذي أوقف الشاحنات السورية على الطريق السريع في الاراضي العراقية، وقتل السائقين على الهوية، ثم بدأ يتبجح أمام الكاميرا ويوجه رسالة الى رئيس الحكومة، ويخاطبه بالإسم، بانه قادر على احتلال طريق عام بسهولة..!

فهل لهذا الارهابي او غيره، او حتى المسلحين الملثمين المنتشرين في مدن الانبار وغيرها، مشكلة شخصية مع رئيس الحكومة العراقية؟ نعم؛ هم يحاولون إيهام الرأي العام في العراق وخارجه، بأن رئيس الحكومة نوري المالكي عدوهم الأول، وذلك لهدفين: الاول: كسب الشرعية لأعمالهم الارهابية والاجرامية، وأنها جزء من تحرك مطلبي، والامر الثاني: الابتعاد ما أمكن عن ساحة مكشوفة مع الاغلبية الساحقة من الشعب العراقي الرافض للغة العنف في استعادة الحقوق وتلبية المطالب.

فاذا كنا نجمع على أن المعركة مع الارهاب والطائفية والتمزق، هي معركة العراق بأسره، ثم صدر تصويب او تسديد، لاسيما من مرجعية دينية لها ثقلها الاجتماعي ورصيدها الفكري والثقافي في الساحة العراقية والاسلامية، فانه ليس فقط يستوجب على المعنيين بالتصويب أن يشدّوا على الأيدي ويستحسنوا الفكرة، إنما يبحثوا عن المزيد، كما يبحث الارهابيون في الجانب الآخر عمن يدعمهم ويساندهم بالكلمة في صحيفة ومجلة، أو بظهور على الشاشة الصغيرة، هذا فضلاً عن الشيكات السخيّة والمعونات المادية، فاذا كانت الكلمة الكاذبة وأموال الحرام والدجل الاعلامي والسياسي وحتى الديني ممن أسماهم المرجع المدرسي بـ «رهبان السلطة» تؤدي الى سفك الدماء وانتهاك الاعراض ودمار شامل، فان الكلمة الطيبة والفكرة البناءة من شأنها ان تنقذ البلد والشعب بأكمله من فتن ظلماء و دفع نحو شفير الهاوية.

إن لغة الاعتدال والحكمة والعقل، هي التي تخيف الارهاب التكفيري سواءً، كمفردة ومفهوم، أو على شكل مجاميع من الملثمين الموتورين أو المغرر بهم، لاسباب عديدة اهمها: عدم قدرتهم على الرد، لأن «فاقد الشيء لا يعطيه». فهل لديهم الحكمة والمنطق، وهم ينتهجون القتل والقسوة بلا حدود؟ والامر الآخر والأكثر خطورة عليهم، انسجام القيم والمفاهيم الاخلاقية مع الانسان المطالب بحقوقه، فاذا تيقن تحقيق مطالبه المشروعة من خلالها، لن يجد الحاجة الى اللجوء الى اساليب غير اخلاقية وغير انسانية تفقده شرعية المطالبة، وهذا ما يخشاه الارهابيون القادمون من خارج الحدود، وتحديداً تنظيم «القاعدة» لأنهم يعدون أنفسهم حاملين لواء المطالبة بالحقوق التي يدعون انها «مضيعة» في الانبار ومناطق اخرى.

وما جاء في كلمة سماحة المرجع المدرسي مؤخراً، و دعوته السياسيين في العراق، الى التحلي بالمزيد من الحكمة وتقديم المصلحة العليا للبلاد واعتماد الرؤى والحلول التي تجمع العراقيين ولا تمزقهم. يمثل بالحقيقة رسالة الى من يهمه الأمر وسط نيران المعارك الدائرة في الانبار، بأن خيار الحرب ولغة العنف والفتن الطائفية، ليست قدر العراق والعراقيين، لاسيما وأنهم دخلوا مرحلة جديدة من التاريخ، وأمامهم فرصة عظيمة للتحول الى ما هو أفضل وأحسن، عندما يطوون صفحة الثقافة الديكتاتورية الى الأبد، حينئذ تنطوي صفحة الارهاب التكفيري والعنف الى الأبد ايضاً.

الانتخابات البرلمانية والمطالبات الملحّة بالمشاركة الجماهيرية

في الثلاثين من شهر نيسان القادم يستقبل العراق والعراقيون، ثالث تجربة لانتخابات مجلس النواب، مما يفترض أن تكون الساحة السياسية والاجتماعية على قدر من النضج، ولو بمقدار العقد الكامل من الزمن على عمر الديمقراطية، بيد ان التنافس المحموم والارتباك في الاجراءات والتحركات، نلاحظها سيدة الموقف، وهو ما يلاحظه المواطن العراقي يومياً، في وقت يعيش هو بالأساس حالة إحباط من الأداء السياسي بسبب استمرار الازمات من كل صوب وناحية.

فمنذ أن بدأ الحديث عن الاستعدادات لإجراء الانتخابات البرلمانية، وسواءً على صعيد الكيانات والشخصيات الطامحة، أو على صعيد الاجراءات الفنية للمفوضية العليا للانتخابات، والمساعي جارية على قدم وساق لترغيب وتحفيز الناس على القدوم الى مكاتب الاقتراع في اليوم الموعود. فالبعض سخّر كل شيء لإرضاء فئات معينة ممن تحتاج الى قطعة أرض سكنية أو فرصة عمل، أو اي شيء آخر، فيما بادر البعض الآخر الى إطلاق مشاريع ومبادرات ذات طابع انساني وثقافي تبعث على الشعور بالثقة والسلامة والتماسك بين صفوف الشعب العراقي. حتى بلغ الحال أن يصرح عريف حفل زواج جماعي في محافظة ميسان (العمارة)، وهو يتوجه بالخطاب الى المتزوجين الجدد، شباباً وشابات، بأن ينتخبوا من ساهم في هذا المشروع الخيري والانساني.. وهو يشير الى تشكيل مؤسسة تتكفل شؤون المعوقين بسبب الالغام في هذه المحافظة، وقال ان «مكتب رئيس الوزراء» استجاب للنداءات المتكررة بهذا الشأن و... هذه التحركات، إن كان لها بعض الفائدة لبعض الناس، فانها تفرغ الاعمال الواجب اتخاذها من المسؤول أزاء الجماهير، من محتواها، حيث لا يختلف اثنان اليوم في العراق، على أن الكثير الكثير من المشاريع والاعمال ما تزال تنتظر التنفيذ، وربما اصبح امراً مألوفاً ان يسمع الناس بالمشاريع والمبادرات خلال الحملة الانتخابية، سواء على صعيد مجالس المحافظات او مجلس النواب.

ومن دون أية مؤشرات او دلالات، أبدت جهات حكومية وغير حكومية في العراق خشيتها من عزوف العراقيين من المشاركة في الانتخابات القادمة. كأن تصدر ارقام واحصائيات من استبيان او استطلاع للرأي أو غير ذلك حول المشاركة او عدمها في الانتخابات، إنما هنالك مجسّات خاصة لدى الكيانات السياسية تستشعر بها مشاعر وتوجهات الرأي العام العراقي، وقد ثبت بما لا يقبل الشك حالياً، أن هناك تذمّر كبير وعدم ارتياح من التجربة الديمقراطية برمتها، وأن شريحة كبيرة من الناس ترى عدم جدوائية في المشاركة مرة اخرى في الانتخابات البرلمانية، عندما يرون الاسقاطات بالجملة وانشغال السياسيين بالمصالح الفئوية والشخصية، بدلاً من المصالح العامة. وجاءت فكرة «البطاقة الالكترونية»، كخطوة على طريق تجسير العلاقة بين المواطن العراقي وبين صندوق الاقتراع، حيث ستكون هذه البطاقة من الناحية العملية، بمنزلة المقياس الدقيق لعدد المشاركين المدلين بأصواتهم في صناديق الاقتراع. وفي الوقت ذاته فان الفكرة ترمي الى تطمين الرأي العام بدرجة عالية من النزاهة والدقة وعدم وجود أي احتمال بالتزوير، وهو اشارت اليه المفوضية العليا للانتخابات، على لسان المتحدث باسم المفوضية مقداد الشريفي، بأن مفوضية الانتخابات وضعت العديد من الخواص الامنية في البطاقة الالكترونية لمنع تزويرها او التلاعب بها او استخدامها اكثر من مرة واحدة».

لكن هذا لم يكن كل شيء في الأمر..! إذ سمع الناس دعوات ملحّة من اطراف عديدة ليس للمشاركة في الانتخابات، وإنما الذهاب الى المراكز المخصصة لاستلام البطاقة الالكترونية هذه المرة، استعداداً لليوم الموعود، وهذه اشارة ثانية ومثيرة للتساؤل على الشعور باحتمال تراجع المشاركة في هذه الانتخابات.

ويتسائل المراقبون والمهتمون، عن سبب الخشية من عزوف الناس عن المشاركة في الانتخابات، وعدم البحث في اسباب هذا العزوف، وعدم تحذير الساسة والطامحين الى المناصب من مغبة إطلاق وعود كاذبة ثم التهرّب من المسؤولية.

النجيفي يبحث في واشنطن عن حقوق المكوّن السنّي

لاحظ مراقبون الاهتمام الملحوظ من الادارة الامريكية بزيارة رئيس مجلس النواب العراقي أسامة النجيفي الى واشنطن، تزامناً مع المعارك الدائرة التي تشهدها محافظة الانبار بين الجماعات الارهابية والتكفيرية، وبين العشائر العراقية المسنودة عسكرياً من الحكومة. فقد تميّز استقبال المسؤولين الاميركيين للنجيفي بالتفاعل والتفاهم، كما حُظي الاخير بلقاءات متعددة مع مسؤولين كبار، فاضافة الى الرئيس الاميركي باراك أوباما، التقى مرتين بنائبه جو بايدن، وزير الخارجية جون كيري، كما استقبل في مقر اقامته بواشنطن، رئيس هيئة الاركان المشتركة، الجنرال راي اوديرنو، وهو الجنرال الذي شغل لفترة من الزمن قيادة القوات الامريكية في العراق.

ويأتي الترحيب الاميركي الملحوظ بالنجيفي، بعد الزيارة التي قام بها رئيس الوزراء نوري المالكي، في تشرين الثاني الماضي، وايضاً الزيارة التي قام بها رئيس القائمة العراقية، اياد علاوي، قبل شهر من ذلك، مما أوجد اعتقاداً لدى المراقبين بأن هنالك حرصاً من الساسة في بغداد، وتحديداً المتنافسين على السلطة والنفوذ في العراق، على كسب التأييد الامريكي لتحركاتهم، لاسيما وأن العراق يتأرجح حالياً بين نجاح التجربة الديمقراطية في الانتخابات القادمة، وبين التحدي الأمني والعسكري في المنطقة الغربية. فقد أعقبت زيارة المالكي الى الولايات المتحدة، إندلاع الاشتباكات والمعارك في الانبار بعد استشهاد اللواء محمد الكزوي، أحد قادة الجيش العراقي خلال مواجهات مع الجماعات الارهابية، الامر الذي أطلق شرارة الحرب، ودفع برئيس الحكومة لأن يعطي أوامره بالتحرك صوب الانبار للاقتصاص من القتلة ثم تصفية حساباته مع ما كان يسمى «ساحات الاعتصام» والمتسببين باغلاق الطريق الرئيسي الى الاردن وسوريا، وايضاً بارتكاب جرائم قتل عديدة بحق مدنيين وعسكريين. وأتبع ذلك وصول مروحيات ومعدات عسكرية متطورة أفادت الجيش العراقي في توجيه ضربات موجعة وقوية الى أوكار الارهاب متمثلاً بتنظيم «داعش» في الانبار.

وهذا ما دفع بعض المراقبين الى الاعتقاد جزماً أن واشنطن تريد من خلال الترحيب بالنجيفي، إرسال إشارات الى المالكي بأن المروحيات والاسلحة المتطورة التي بعثتها، وايضاً التأييد الامريكي وكذلك الدولي في معركته ضد «الارهاب»، لا يجب أن يكون اداة يسخرها لخدمة مصالحه الخاصة او الفئوية في الانتخابات القادمة، على حساب سائر الكيانات السياسية، وليس أدلّ على ذلك، الاتفاق في وجهة النظر بين النجيفي والاميركيين بضرورة المشاركة في اتخاذ القرار وعدم الانفراد به في بغداد، وهو ما لا ترضاه واشنطن بأي حال من الاحوال. لذا دعا الرئيس الاميركي ونائبه خلال استقبال النجيفي، على «الحاجة لإجراءات سياسية وأمنية من أجل مواجهة الإرهاب في العراق». وذكرت المصادر إن الاثنين ناقشا الجهود لدمج قوات العشائر رسميا في الوحدات العسكرية والأمنية خلال قتالها ضد الارهاب.

وحسب مصادر أخرى في الولايات المتحدة فان النجيفي طلب من الادارة الامريكية الضغط على الحكومة العراقية للتقدم نحو المزيد من المشاركة السياسية والتداول السلمي في السلطة، وعدم إثارة حفيظة المكوّن السنّي، وهو الامر الذي تفهمه الرئيس أوباما بشكل جيد، بل لا يخفى عليه بالأساس التقاطعات الموجودة في الرؤى والمصالح والتوجهات بين المكونات الموجودة في العراق، وتحديداً المكونات الثلاث: الشيعي، والسني، والكردي. وهذا ما دفع النجيفي لأن يصرح من واشنطن مطالباً المالكي بأن يترك القتال ضد «داعش» والجماعات الارهابية لأهل الانبار (السنّة)، في إشارة الى التوقف عن أعمال القصف الجوي لمدينة الفلوجة ومناطق اخرى من الانبار، وهو ما يتناغم مع رغبة وارادة أقرب حلفاء المالكي في ساحة المواجهة «احمد ابو ريشة»، الذي دعى الى المزيد من الصلاحية للعشائر لأن تخوض الحرب ضد الارهاب، حيث ادّعى مؤخراً أن لديه خطط متكاملة لاقتحام الفلوجة وتحريرها من «داعش» بشرط توقف القصف الجوي.

وهنالك اعتقاد واسع في الانبار ولدى المكوّن السنّي برمته، بأن المالكي يريد ان تكون العشائر أحد أذرع الحكومة لقتال الارهابيين، لا أن تكون جسماً مستقلاً يتخذ قراره بنفسه. ولعل هذا جوهر ما بحثه النجيفي في واشنطن، وهو السبب الأساس في تأخر عملية تحرير الفلوجة واستمرار الأزمة والمعاناة الانسانية في محافظة الانبار برمتها.

حملة في السعودية لترميز «الشيخ النمر» لقيادة الحراك السياسي

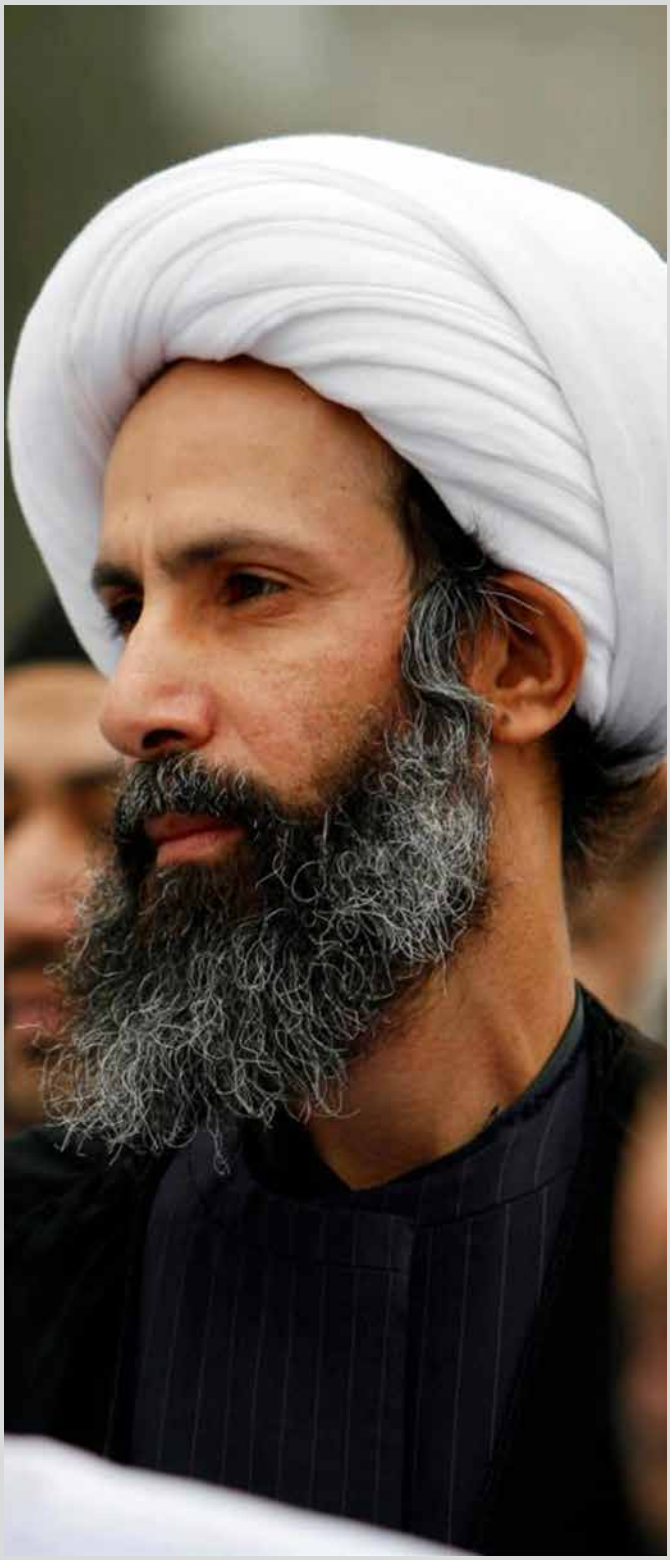

بدأت قوى المعارضة في المنطقة الشرقية من السعودية، بتحرك جديد يهدف الى تكثيف العمل المعارض الهادف الى تغيير الواقع السياسي في البلاد بما يحقق العدالة والمساواة والحرية لكل افراد الشعب السعودي، لاسيما ابتاع مذهب اهل البيت، عليهم السلام.

فقد أطلق عدد من الناشطين في المنطقة الشرقية حملةً على شبكة التواصل الاجتماعي «تويتر» تحت عنوان «النمر عنوان المطالب»، مؤكدين في حملتهم أيضا على استمرار الحراك الشعبي الذي يطالب بتحقيق المطالبة العادلة والمشروعة التي دافع عنها آية الله الشيخ نمر باقر النمر، المعتقل لدى السلطات بسبب مواقفه المعارضة.

وقال أحد القائمين على هذه الحملة الشعبية إن «هذه الحملة تأتي تأكيداً على مواصلة الجمهور لدعمه ونصرته لآية الله النمر، والاستمرار في المطالبة بالحقوق المشروعة التي كفلتها الشرائع السماوية فضلاً عن القوانين الأرضية، والتي نادى بها شعب القطيف الأبي، وضحى من أجلها بتقديم تسعة عشر قرباناً وشهيداً، وعدداً كبيراً من المعتقلين وعلى رأسهم آية الله الفقيه الشيخ النمر و الشيخ توفيق العامر، المتهمين ظلماً بخلية التجسس المزعومة».

وأشار الناشط إلى وجود تفاعل ودعم إعلامي كبير لهذه الحملة من قبل صفحات الحراك الحقوقي والسياسي في القطيف، وصفحات دعم الثورة في مختلف المناطق داخل وخارج البلاد.

وشدد الناشط السعودي وأحد القائمين على الحملة الشعبية على ضرورة تكثيف التغريد باللغة العربية والانجليزية، والتواجد قبل موعد الحملة بربع ساعة، مضيفاً انه سنعلن عن الحملة قبل البدء بمدة ١٠ دقائق، خشية أن يتم احتلاله من قبل خفافيش التويتر التابعة لوزارة الداخلية السعودية.

يذكر أن آية الله الشيخ النمر لا يزال معتقلاً لدى السلطات السعودية منذ ٨ من حزيران عام ٢٠١٢، ويعاني من ظروف صحية حرجة بعد أن أطلقت عليه القوات السعودية أربع رصاصات أثناء محاولة اعتقاله. وقد خضع لعدة عمليات جراحية لإزالة الرصاص التي تركزت في فخذه، إلا أن السلطات السعودية ما زالت عاجزة بل غير مبالية للرصاصة الرابعة والتي ما زالت تعتنق عظم فخد الشيخ منذ عام ونصف العام.

ويأتي هذا التحرك الجديد، لكسر حالة الركود والجمود السياسي، في الساحة السعودية بشكل خاص والخليجية بشكل عام، حيث يلاحظ المراقبون حالة الترقّب الاقليمي والدولي ما تؤول اليه التغييرات على الساحة السورية، حيث الخسارة السعودية الفادحة، بعد جلوس المعارضة قبالة الوفد الحكومي في (جنيف ٢)، من جهة، والساحة اللبنانية، حيث التنافس الشديد والمحموم على النفوذ بين القوى السياسية هناك، ويمثل تيار «١٤آذار» الذراع المنفذ للسياسات السعودية في هذا البلد. وربما يرى المراقبون، إنها خطوة ذكية من المعارضة لاستباق الاحداث وترميز قادة العمل الرسالي في الساحة وعدم ترك مناطق فراغ تستغلها السلطات الحاكمة في تدعيم موقفها أمام الرأي العام العالمي، على أنها عامل الاستقرار الوحيد الذي يحقق طموحات الشعب السعودي.

مصر.. الاحتفال بنجاح العسكر في تحقيق الديمقراطية

أحيا المصريون في مختلف مناطق البلاد ذكرى «ثورة ٢٥ يناير»، التي أطاحت بنظام الحكم الديكتاتوري العسكري، ومثله حسني مبارك، واستمر في ادارة البلاد منذ عام ١٩٥٢. وقد جاءت الاحتفالات على مرور العام الثالث على الإطاحة بمبارك، والاستبشار بنظام ديمقراطي، تعددي في مصر، في ظل موجة عنف شديدة لم تشهدها البلاد في تاريخها المعاصر، حيث شهدت البلاد سلسلة من اعمال التفجير والاغتيالات في القاهرة ومناطق اخرى، منها شبه جزيرة سيناء، حيث يتهم المعارضون الحكام الجدد بدفع مصر نحو الديكتاتورية القديمة رغم الثورة وتقديم العشرات من الشهداء على طريق الديمقراطية والحرية.

المعطيات الاخيرة من الساحة المصرية تشير الى أن الفريق أول عبد الفتاح السيسي الذي ما يزال يحتفظ بمنصب وزير الدفاع، تحول الى رجل المرحلة والمنقذ للشعب المصري من حالة الانفلات الأمني والاضطراب السياسي منذ ايام حكم الرئيس المعزول محمد مرسي، وما تلاه من احداث عنف بين المؤيدين والمعارضين لقرار عزله والإطاحة به. وجاء الاستفتاء على الدستور، ليكون النقطة الايجابية الثانية التي تسجل لحساب السيسي بعد قراره عزل مرسي في الثلاثين من تموز العام الماضي. واول الخاسرين في هذه المعركة هم «الاخوان المسلمون» الذين انقلب عليهم الامر عندما انقلبت الجماهير على الرئيس، فبعد ان تحولوا الى تنظيم محظور وارهابي، بدأت سلسلة اعمال ارهابية تهدد أمن واستقرار البلاد، مما جعل كل أصابع الاتهام تتجه الى هذا التنظيم بمسؤوليته عنها، وكان آخرها التفجير الانتحاري بسيارة مفخخة استهدف مبنى مديرية أمن القاهرة، مما أدى الى مقتل أربعة على الأقل وإصابة (٧٦) آخرين. وحسب المراقبين، فان هنالك اطراف داخلية وخارجية، تحاول الايحاء بأن المستقبل لن يكون في صالح السيسي، لاسيما مع ورود انباء عن احتمال ترشحه لانتخابات الرئاسة. فقد حولت هذه الاطراف، مصر الى ساحة مواجهات عنيفة بين أنصار الرئيس المعزول وبين قوات الشرطة والجيش، بل وحتى مع انصار السيسي، وبات المشهد السياسي يتأرجح بين من يؤيد مرسي، وبين من يؤيد السيسي، ويرفع انصار الرئيس المعزول، قميص الشرعية أمام انصار السيسي، على أن الاخير قام بانقلاب عسكري على رئيس منتخب، بينما يقول الآخرون: إن السياسات الخاطئة التي اتبعها مرسي هي التي أدت به الى الهاوية، حيث احتشد الآلاف من المصريين في القاهرة ومدن اخرى مطالبين بتنحي مرسي عن الحكم.

المراقبون السياسيون، يرون الاستحقاق الديمقراطي في مستقبل مصر، عندما تسرع الحكومة الحالية باجراء انتخابات برلمانية تكون تتويجاً لنجاح عملية الاستفتاء على تعديلات في الدستور، إذ ما تزال ابواب مجلس الشعب المصري مقفلة امام نواب الشعب، بيد ان استمرار اعمال العنف في الشارع بين جبهتين تمثلان نمطين من التفكير والايديولوجية، يجعل الناس العاديين الذين يمثلون «الاغلبية الصامتة» اكثر بعداً عن التجربة الديمقراطية والاهتمام بتوفير لقمة العيش، وهذا ما لاحظه المراقبون في النسبة المتدنية من المشاركة في الاستفتاء الاخير الذي بلغ (٤٠٪) رغم ان التصويت جاء بنسبة عالية بلغت (٩٨٪) بـ «نعم» على التعديلات في الدستور المصري، وهو الاستفتاء الثاني الذي يخوضه المصريون بعد الاطاحة بنظام مبارك، وتجربة النظام الديمقراطي.

ومما يؤخذ على الدستور الجديد، الظلال الكثيفة للعسكر عليه، وإعطاء صلاحيات كبيرة للمؤسسة العسكرية، رغم التطمينات الموجودة من الاطراف السياسية والدينية على أن من شأنه ان يضمن استقرار وهوية مصر، و"يخلق توزاناً بين السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية". ومما جاء فيه، مادة قانونية تعطي الحق بمحاكمة مدنيين في محكمة عسكرية. لذا يرى المراقبون إن الاسراع في إنضاج التجربة الديمقراطية في مصر، وحدها الكفيلة بوضع حد لدوامة العنف الدموية التي يسقط فيها يومياً القتلى الجرحى في الشوارع، من خلال تحديد موعد للانتخابات البرلمانية والرئاسية، وإخراج البلاد من الوصاية العسكرية، وفسح المجال امام مشاركة سياسية واسعة وتداول سلمي للسلطة.

أمن واستقرار العراق أمانة اللّه في رقاب الجميع

* إعداد / هيأة التحرير

لابد ان نعرف، أن ما نجده في العالم من تطور متصاعد عبر التاريخ ليس صدفة ولا عبث انما يأتي هذا التطور بسبب وجود تطلع عند الانسان كفرد والانسان كمجتمع يدفعه دوماً وأبداً الى الامام . فنزعة التكامل وفطرة التطلّع الى الامام حقيقتان لا يمكن لنا ان نوقفهما حتى بقوة النار والحديد.

هذا التطلع الدائم عند الانسان يدفع بالمجتمع الى ان يبحث عن الإصلاح الذي هو جزء من التطلع لإن الانسان حينما يريد ان يتقدم سيجد امامه بعض العقبات، وسيجد من يمنعه عن ذلك او يحاول ان يبعده عن ذلك، ولكنه في ما اذا جاهد وكافح وحاول سيكون هناك اصلاح، ولكن في بعض الايام وبعض الظروف تكون عملية الاصلاح صعبة الى درجة تجعل المجتمع في كبت وقمع ولا تجعل هناك فرصة كافية للإصلاح.

* الإصلاح الدائم يغني عن انفجار الثورات

نحن نرغب في ان تتم عملية الاصلاح بصورة مستمرة حتى لا تحدث ثورات، ولكن ليس كل مانتمناه يتحقق، نحن نرغب في ان نرى أمام المجتمعات فرص للتطوير والاصلاح والتطلع الى الامام خصوصاً في عالم اليوم، حيث اصبحت البلاد المتباعدة، كبلد واحد بل قرية واحدة بفضل كل ما هنالك من اسباب التواصل. فحينما نجد – مثلاً- دولة تتقدم وتصل الى ما تصل اليه من مستويات رفيعة في كل شيء، ثم نبقى نحن متخلفين فأننا يجب أن لا نرضى ونقبل بذلك. نحن نرغب في ان تتفهم الدول والسلطات و المسؤولين عن الفكر والثقافة عن التعليم و الدين و.. تطلعات المجتمع ولا يكبتوها، فالافكار السيئة والخرافية التي انتشرت وامتدت عبر التاريخ، هذه الافكار وامثالها كبتت الشعوب بإسم الدين وهو منها ومن امثالها براء.

* لا ثورة سليمة بلا خارطة طريق

الامام الحسين، عليه السلام، كان مثلاً أعلى ضد الظلم والطغيان وقد اعلنها كلمة واضحة وصريحة: «لم أخرج أشراً ولا بطراً ولكن خرجت لطلب الاصلاح...». إنه المثل الاعلى. و لكن بعد الامام الحسين، عليه السلام، نشأت حركات اتجهت في بعض مناحيها لشيء من التطرف او الاندفاع، البعض قالوا إنه، عليه السلام، استشهد، فلنستشهد نحن كذلك، وبعض الحركات كانت متطرفة اكثر من اللازم، فجاء الامام زين العابدين، سلام الله عليه، ونشر حقائق التوحيد وعلّم الناس وأدّبهم وثقفهم على انه ليس أي

> لا يجوز لكل انسان ان يفجّر الموقف بلا أهداف واضحة وخطط صريحة وبلا خارطة طريق

حالة، هي حالة ثورية صحيحة، ولا يجوز لكل انسان ان يفجّر الموقف بلا أهداف واضحة وخطط صريحة وبلا خارطة طريق، وحسب فهمي لدور الامام زين العابدين، عليه السلام، فإن دوره الريادي كان في هذا المنحى، بالاضافة - طبعاً- الى ادوار ومناحي اخرى عظيمة ومهمة لاتخفى على أحد.

نحن، ومنذ ثلاث سنوات امام وضع يُسمى «الثورات العربية» او «الربيع العربي».. وبصراحة اقول: أن كل امة وكل شعب يختزل الثورة في داخله ما دامت العوامل لذلك متواجدة، فاذا لم يجد هذا الشعب التحول الايجابي في حياته، ولم يجد ما كان يصبو اليه من الحرية والكرامة والحقوق والعدل، فهذا لا يعني ان هذه القيم تُمسخ وتضمحل في داخله، بل سوف تتراكم وتتعاظم قوتها الداخلية ثم تنفجر في يوم من الايام. ولذا نحن في مثل هذه الحالة علينا ان نفكر في خارطة طريق سليمة ومحكمة لهذه الثورات.

* حل مشاكل العراق بالحوار والتشاور لا بالسلاح

اليوم؛ في العراق هناك ايضاً تطلعات للشعب، ولإهلنا في الجنوب والوسط، و أهلنا في الشمال، وفي المنطقة الغربية وتطلعات مشروعة، و لكن في بعض الاحيان، تأخذ هذه التطلعات - للاسف الشديد - منحى خاطئاً وسيئاً، فالبعض نراهم يتفقون مع الأجانب ويأتون ببعض المسلحين ويتفقون مع هذه الدولة وتلك ويهدمون بيوتهم بأيديهم..! قبل فترة خاطبت المنطقة الغربية وقلت: انتم اهلنا.. تعالوا نتحاور ونتفق، لا تعتقدوا أن هناك أحد في العالم يحبكم وينتصر لكم ويتعاون معكم اكثر من أهلكم في بلدكم الواحد. اتركوا هذه الافكار المتشددة، ونحن لا نرفض او ننكر أن لكم تطلعات كما باقي ابناء الشعب، وهي من حقكم، ونحن نؤمن بها، ثم اننا لا ندّعي ان الحكم في بلدنا هو حكم الامام علي السلام، عادل ولا تشوبه شائبة بكل تفاصيله، ولا ندعي باننا نستطيع ان نحقق كل شيء بجرة قلم، و كلنا في هذا الوضع سواء، فالوضع السيئ يحوط بنا جميعاً، و نحن لا نريد ان نحل مشاكلنا بالسلاح، ولا بالصياح وكلام السوء عبر الابواق الاعلامية، مثل بعض وسائل الاعلام و الفضائيات التحريضية. وقد سمعت بأذني من فضائية تتدعي الموضوعية، كلاماً مشين لشخص ما وهو يحرّض المنطقة الغربية ويقول: «أين أزيز رصاصكم..»؟!

إن هذا وامثاله، وهذه الاقوال والتحريضات المسيئة والخبيثة تأتي من أناس يجلسون في الخارج ويدعون الناس الى التقاتل، ثم ألم تأخذوا العبرة مما يجري في سورية..!؟ وهل تريدون لغرب العراق أن يصبح مثل «حلب»؟! لماذا لا تفكرون بموضوعية وإنصاف؟ أين العقلاء؟ وقد قلت سابقاً و أكرر: ان المنطقة الغربية مليئة بالمعادن والخيرات مما لا يحصيها إلا الله تعالى، وهذه المنطقة من الممكن ان تنمو بأفضل ما يكون وتعيش بافضل ما يكون. ثم هناك نظام المحافظات والاقاليم، ولدينا الدستور فيه متسع، وبطبيعة الحال ربما لا يستجيب رئيس الحكومة أو مجلس وزراء او البرلمان او مؤسسات الدولة، لكن في نهاية المطاف، ما دام هنالك إطار واحد وتستطيع عبر هذا الاطار تحقيق اهدافك بشكل قانوني صحيح، فتعال وأعمل لتحقيقها بعيداً عن السلاح والقتال والدمار. فمما يبكي أن نجد في بلدنا وشعبنا تقاتل.. ألا ينبغي ان نبكي على ماجرى و يجري؟ انتم يا أهلنا في الفلوجة والانبار..! كم وكم قلنا لكم أبعدوا عنكم أولئك المحرّضين والمسببين للصراع والتقاتل والخراب، فهل من الصحيح والمفيد أن يهجّر السكان من الفلوجة والانبار نتيجة ما تمارسه وتسببه تلك الجماعات؟ وبالتأكيد إننا في كربلاء المقدسة، نستقبل أهلنا هؤلاء، ونحن في خدمتهم، وأهلاً بهم في مدينة الامام الحسين، عليه السلام، التي تستقبل كل المسلمين من كل مكان. نحن أهلكم فلا تسمحوا لمجموعة من المغرضين و المخربين يأتون مع ما لديهم من اسلحة، منها السلاح الاعلامي، فيخربوا بلدكم، نحن لا نتحمل هذه المسؤولية، وأنتم أيها السياسيون والمفكرون والحكماء والاعلاميون، فكروا بما تقولون وتنطقون به ومعانيه، وبنتائجه. تخلّوا عن الاثارات التحريضية، الطائفية، والحميات الجاهلية، وتوجهوا الى الله سبحانه. وهنا علينا وعليكم جميعاً أن نتدبر طويلاً في قول ربنا تعالى في سورة هود، حيث يقول النبي شعيب، عليه السلام، لقومه: ﴿يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾، بمعنى؛ أنا لا أريد الخير لنفسي فقط، ولا اقول لكم اتركوا هذا وذاك.. ثم اخالفكم و أعمل بما أنهاكم عنه، ثم إني لا أريد من ذلك «إلاّ الإصلاح ما أستعطت»، فهذا هدف عظيم، أن يبحث الانسان عن الإصلاح وبالقدر الممكن، وليس بالقدر المطلوب، انه درس يجب أن نتعلمه ونعي بصائره لمعالجة امورنا ومشاكلنا.

لا أملك إلا أن أعود وأذكر وأقول لإخواننا من المسؤولين جميعاً، ولإهلنا في المنطقة الغربية، وفي الوسط والجنوب، ومن خلال هذا المنبر: أمانة الله في رقابكم.. انتم مسؤولون عن هذه اللحظة والمرحلة التاريخية، انتم تذهبون ونحن نذهب والتاريخ لا يرحم.. والله تعالى يقول: ﴿وقفوهم انهم مسؤولون﴾، فكروا بشكل موضوعي. ارجعوا الى عقولكم والى حكمائكم، ابحثوا عن الاهداف والمصالح العليا للشعب والوطن، العراق به خيرات و ثروات كثيرة وهائلة تكفي وتسع الجميع، موقع جيد وشعب مسالم آمن يريد الطمأنينة والتعايش المشترك بسلام ومحبة وتعاون، فلا تمزقوا الناس، ابدوأ الحياة من جديد، تحاوروا مع بعض، عندكم مؤسسات رسمية فإجلسوا ناقشوا. وأي انسان يريد الاصلاح يؤيده ويسدده ويوفقه الله لإنه تعالى مع الاصلاح والمحبة والسلام.. و هذه كلمتنا ودعوتنا نحن أيضاً.

> لا نريد ان نحل مشاكلنا بالسلاح، ولا بالصياح وكلام السوء عبر الابواق الاعلامية، مثل بعض وسائل الاعلام و الفضائيات التحريضية

المرجع المدرسي :

على الجيش العراقي أن يكون شجاعاً ودقيقاً في توجيه ضرباته الى الإرهابيين

دعا سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد تقي المُدرّسي، الشعب العراقي من كل الاطياف والمناطق الى دعم ومساندة الجيش والقوات الأمنية في التصدي لخطر الأرهاب. وقال سماحته في جانب من إحدى كلماته الاسبوعية التي يلقيها بمكتبه في كربلاء المقدسة امام حشد من الوفود والزائرين إننا : «نشد على يد الجيش العراقي وندعمه في مواجهته للزمر الإرهابية وعليه أن يكون حازماً وحاسماً، وفي نفس الوقت أن يفرق بين المجرمين والضحايا من الناس المغرر بهم.. و على أبناء الشعب العراقي بكل أطيافه ومناطقه أن يقفوا مع جيشهم في عملياته العسكرية التي يشنها ضد الإرهاب.. و نأمل أن يحسم الجيش الموقف مع أصول الجريمة، والتحلي بمزيد من الدقة و الشجاعة في مواجهة الإرهاب واستخدام الأساليب السلمية مع المغرر بهم إذا رجعوا الى جادة الصواب..».

واضاف سماحته: «أننا نهيب بأبناء المنطقة الغربية للوقوف مع جيشهم العراقي في مواجهة الجماعات الارهابية و ذلك سوف يفتح لهم الطريق نحو الأمن والسلام وبناء محافظتهم التي عانت ولا تزال بسبب التنظيمات الإرهابية».

وفي هذا السياق أكد سماحته على أن : «الشعب العراقي اثبت وحدته برغم كل ما تعرض له من إرهاب وتمزيق خلال السنوات الماضية لأنه شعب حيوي وعلى قدر عالٍ من الولاء للدين وللوطن وسيبقى صامداً وقوياً ولا يمكن تقسيمه، وقد عبر شعبنا عن نفسه وحيويته ووحدته بهذا الاسلوب الرائع في اكثر من مرة ومناسبة ولاسيما في زيارة الاربعين، فلييأس الاعداء وليعلموا بأن هذا الشعب يبقى موحداً، صامداً، متحدياً لمن يريد ان ينال منه». واضاف سماحته في جانب آخر من كلمته: يجب ان ننظر الى الامور نظرة بعيدة تجعل المنطقة الغربية آمنة مستقرة وتستطيع ان تساهم في إعمار نفسها و العراق، و ايضاً في ادارة البلاد والعباد، وأي منطقة وجماعة ومكون يجب أن يكون حالهم حال بقية أبناء الشعب ويجب أن لايفكرنّ أحداً بإن عقارب الساعة يمكن ترجع الى الوراء في العراق.

وعلى الصعيد ذاته دعا سماحة المرجع المُدرّسي خلال استقباله نائب رئيس مجلس محافظة كربلاء المقدسة علي المالكي، إلى تعبئة الشعب العراقي في مواجهة خطر الارهاب وما يسمى بزمرة «داعش» والقاعدة. مشيراً الى أن: ما يسمى بتنظيم «داعش» الارهابي مهزوم لا محالة، ولكن هذا لا يعني أن العراق لن يناله الأذى منهم، فالعراق يواجه الإرهاب سواء في الداخل او الخارج، وعلى المرجعيات والشعب أن يقدموا المزيد من الدعم المعنوي لمواجهته ودحره، ولذلك و لمواجهة الخطر القادم عبر هذه التنظيمات الإرهابية، نهيب بالشعب جميعه استحضار الروح الوطنية التي دافع بها أجدادهم في ثورة العشرين، للدفاع عن العراق.

واضاف سماحته: «كل الدلائل تقول أن داعش سيهزم شر هزيمة على أيدي الجيش العراقي لان العراق كدولة تطور كثيراً عما كان عليه في السابق بعكس ما تعتقد الدول الداعمة للإرهاب».

من جانب آخر أكد سماحة المرجع المُدرّسي خلال اللقاء إن: «على المسؤولين في البلاد الالتفات الى أهمية وضرورة التخطيط والعمل لتفعيل المصانع العسكرية من اجل تزويد الجيش العراقي بالسلاح والعتاد الكافي دون الاستعانة بالخارج». كما دعا سماحته الحكومة المحلية في كربلاء المقدسة الى: «المزيد من الاهتمام بالبنية التحتية للمحافظة لأن الإهمال كان ولازال واضحاً على مدينة كربلاء المقدسة منذ زمن النظام البائد وحتى الآن».

في ذكرى المولد النبوي الشريف:

المرجع المدرسي يدعو الى استبدال ثقافة الصراع والطائفية بثقافة السلام والتعاون

قال سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد تقي المُدرّسي إن: «التنظيمات التكفيرية و الإرهابية لا تمتّ للدين بأية صلة، ويجب أن نواجه ثقافة الانتقام والاقتتال التي تتبناها هذه التنظيمات المنحرفة، بثقافة التراحم التي يتعطش لها العالم في كل مكان». واضاف سماحته في جانب من كلمة القاها بالمحفل السنوي بمكتبه في كربلاء المقدسة بمناسبة المولد النبوي الشريف ان: «على العلماء وطلبة الحوزات العلمية في العراق والعالم، مواجهة الفكر المنحرف الذي يدعو إلى التضاد والاقتتال بثقافة الإسلام التي تدعو إلى الرحمة والتعايش.. ونسأل الله أن لا يدفعنا رد الفعل للرد على هذه التنظيمات المجرمة بذات الطرق التي يعتمدونها معنا».

واشار سماحته الى أن: «البشرية تقدمت في حقول شتى إلا أنها تعيش واقعاً مليئاً بالكوارث والحروب حيث تصرف الميزانيات على التسلح بهدف الهدم والحرق حتى صار عالمنا، عالم الوحوش، والبقاء فيه للأقوى وليس للأصلح». و أوضح سماحته أن سبب ذلك يعود إلى: «القواعد الفكرية المنحرفة التي يعتمد عليها العالم والتي أنتجها علماء وفلاسفة التضاد الذين يصورون للناس أن الحياة قائمة على أساس التضاد والتناقض والقسوة والانتقام والقوة». وشدد سماحته على أن «ما يمكنه أن يجعل العالم اليوم في سلام وأمان هو الإيمان والمحبة والرحمة والتعاون بين البشر لا ميزانيات التسلح، او الاعتماد فقط على القوى الأمنية والعسكرية».

واشار سماحته في كلمته بالمناسبة الى إن «إرسال الأنبياء مظهر من مظاهر الإصلاح والرحمة بالخلق من قبل الله تبارك وتعالى، ودعوتهم للناس جميعاً بالابتعاد عن العدوان والبغي والكذب والخيانة وكل الإعمال المنكرة والتي تعاني منها البشرية في وقتنا الحاضر.

فنبينا الاكرم ورسالة الإسلام جاءت رحمة للعالم بأجمعه وثقافته تواجه الثقافات المنحرفة بالقيم الإلهية التي بينها النبي الأكرم محمد، صلى الله عليه وآله، وأهل بيته الأطهار، عليهم السلام».

وشدد سماحته بالقول: «على الجميع تقع مسؤولية كبيرة في سبيل انتزاع ثقافة الاختلاف والصراع و الطائفية وتبديلها بثقافة السلام والتعاون والمحبة والوئام، وهذا ما فعله النبي الاكرم، والقرآن الكريم بالجزيرة العربية التي كانت بؤرة للفساد والتشظّي واختلاف القبائل بأبشع صورة، ولكن ثقافة القرآن وحكمة واخلاق نبي الرحمة، غيرت حالهم وجعلتهم أمة عزيزة منصهرة في بوتقة واحدة، وكم نحن بحاجة في عصرنا الراهن الى العودة الى روح الاسلام، والى القيم المثلى التي جسدها النبي الأكرم، واهل بيته، صلوات الله عليهم، لذا يجب ان نكون جديين في رفع راية الدين وجوهره الحقيقي الذي يدعو الى الاصلاح وإشاعة السلام والاحترام المتبادل بين البشر».

واضاف سماحته: «اقول لكل مسلم شيعي و سني: «إن القرآن الكريم و النبي الاكرم واهل بيته، صلوات الله عليه، سفينة النجاة و ابواب رحمة الله، فتعالوا جميعاً نحمل هذه الراية ونبث روح المحبة والسلام والتكاتف.. أيها الخطباء و العلماء و الحوزات والمراكز العلمية من شيعة وسنة.. علينا أن نكون دعاة خير ورحمة و سلم و صلح ومحبة كما يأمرنا ديننا و نواجه الكراهية والنعرات الضالة المُضلة..

فالقبائل المتناحرة وحّدها الرسول الاعظم، صلى الله عليه وآله، والامة بناها وصاغها بسيرته وبالقرآن الكريم، وعلاج تشتت الامة اليوم هو الرجوع لذات السيرة والتعاليم والمنهج القرآني الواضح والمنير».

المرجع المدرسي يحذر من استمرار بقاء ثقافة النظام البائد

أكد سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد تقي المُدرّسي على أن: «الاسلام الحنيف يبصّر الناس بجذور الفساد ويهديهم الى الطريق السليم لاقتلاعها، ومن اعراض الفساد في الارض حالة التمزق والتحزبات التي تفرق الناس وتدفعهم الى الصراع والهدم والتخريب».

وأضاف سماحته في جانب من حديث له بمكتبه في كربلاء المقدسة أمام جمع من الوفود الزائرة واساتذة وطلبة الحوزات العلمية، ان «الله تعالى خلق الناس ليتعارفوا ويعترفوا بحقوق بعضهم البعض، أما الطغاة الذين ارادو ان يحكموا السيطرة على الناس فلم يجدوا طريقاً الا الإفساد بتمزيق الناس طائفياً وخلق الصراعات..، وفي كثير من الاحيان هذا الفساد العريض الذي يورثه الطاغية يستمر من بعده فيذهب الطاغية ولكن تبقى هذه الطائفيات والخلافات من بعده. ونحن الآن في العراق نشهد مثلاً لذلك.. فما زرعه النظام البائد في العراق من جرثومة الاختلاف والصراع لا يزال ينتج ثماره الخبيثة والعلاج لذلك يتم بعمل اصلاحي مستمر وجدي من قبل القادة ومؤسسات وقوى المجتمع»، مشيرا الى ان «الطاغية المقبور مضى لكن ثقافته التي زرعها وجعل بها اهل العراق شيعاً، لاتزال - مع الاسف- تعشعش في النفوس والبعض يحاول الاستفادة من هذه الثقافة المقيتة لكي يصلوا الى اغراضهم»، منوهاً الى أن «هناك بعض المواد في الدستور يجب ان يُعاد النظر فيها فنحن يجب ان نصوغه ليؤمن لنا المزيد من الوحدة والتلاحم».

وفي هذا السياق أكد سماحته «ان على الجميع تقع مسؤولية كبيرة في سبيل انتزاع ثقافة الاختلاف والصراع و الطائفية وتبديلها بثقافة السلام والتعاون المحبة والوئام»، و اوضح سماحته «ان ثقافتنا وتأريخنا حافل بحالات ومواقف اساسية ومنها منهج الامام علي، عليه السلام، وتضحيته للحفاظ على الاسلام وكيان الأمة من التمزق، وهكذا كان صلح الامام الحسن، عليه السلام، حيث نستفيد وتستفيد الأمة من هذه التجربة، لاسيما في يومنا الراهن، حيث نستلهم ثقافة السلام وجمع الناس حول القيم، وهذه الثقافة حافظت على تعادل ووحدة الامة من الانهيار. فالأمة الاسلامية عاشت لفترات من تأريخها في سلم ووئام ليس بالمخابرات و القوة العسكرية التي كانت تبطش بل بثقافة القيم الايمانية ونحن أحوج ما نكون الى مثل هذه الثقافة اليوم في العراق وباقي بلاد الأمة وشعوبها». واضاف سماحته: «كم نحن بحاجة الى العودة الى روح الاسلام والى القيم المثلى التي جسدها النبي وأهل بيته، عليهم السلام، من اجل زرع اواصر المحبة والوئام في النفوس..! ومهما كانت دواعي الخلاف فإن هناك بالتالي، نظام و قانون، وهناك دولة و دستور وقيم ودين وبالتالي نجعل من كل ذلك مرجعية في حل الخلافات وتكريس التفاهم والتعاون وليس الصراع والتمزق، وهذه الثقافة هي الرسالة التي لمسناها وشاهدناها في حشود الملايين من ابناء الشعب الذين مشوا الى مرقد الأمام الحسين، عليه السلام، في هذا البرد القارص و المخاطر التي كانت تواجههم، فهذه ليست ثقافة الحرب والتمزق لأن الامام الحسين، عليه السلام، باب واسع للرحمة وسفينة نجاة تسع الجميع، وهذا هو اساس الدين. فهذه السفينة الربانية يتجه الناس نحوها من جميع الطوائف والاديان والطبقات لإنها سفينة السلام والنجاة والاصلاح، وهذه هي ثقافة الاسلام والقرآن ودعوة النبي الاكرم، صلى الله عليه واله. هذه هي ثقافة الامام الحسين، عليه السلام. الذي رفض أن يبادر إعدائه بقتال في يوم عاشوراء».

وختم سماحته بالتأكيد على أننا «نريد لإنفسنا وللعالم كله أن يعود الى هذا الاصل القرآني الذي يؤكد أن الله خلق الناس سواسية، وجعلهم شعوباً وقبائل لكي يتعارفوا، وليس ليتصارعوا.. واذا فعلنا ذلك فسوف نكون اقرب الى الأمن والسلم والاستقرار، واقرب الى الله، لإنه سبحانه مع الجماعة ونكون اقرب الى الحضارة لإن الحضارات لا تبنى بالتمزق والاختلاف».

المرجع المدرسي يدعو المعنيين الى مواجهة الارهاب بطريقة «لاتورثنا مشاكل جديدة»

قال سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد تقي المُدرّسي ان على الدول والمسؤولين سواء في العراق او أي مكان في العالم، التفكير والعمل الجدّي على معالجة وباء الارهاب وفق أسس وخطط واساليب صحيحة على المستويين، التكتيكي والاستراتيجي، بالاستعداد المسبق، والآني المرحلي، والمستقبلي. موكداً على أن هذه المعالجة يجب أن ترتكز على بعدين اساسيين: مواجهة الارهاب ومقاتلته، ومعرفة وتشخيص دوافعه واسبابه ومعالجة جذوره.

وأكد سماحته خلال كلمة له امام حشد من الوفود بمكتبه في كربلاء المقدسة، على إننا والعالم أجمع، «يجب أن نعمل دائماً على ثقافة درء السيئة بالحسنة من خلال الاستعداد والوقاية المسبقة وعدم الانتظار للبحث عن علاج بعد وقوع المشاكل والازمات واستفحالها.. فيجب أن نفكر دائماً ومسبقا وعلى كافة الصعد سياسياً وأمنياً واقتصادياً واجتماعياً في كيفية علاج المشاكل وحلها بأفضل و أنجع السبل وليس حلها بطريقة قد تورثنا مشاكل جديدة وما هو أسوء منها»، واوضح سماحته ان: «الاستعداد المسبق والمعالجات الصحيحة والمدروسة للمشاكل والازمات قد تحول العدو الى صديق، وذلك بحاجة الى سعة أفق وصدر وحكمة وإنسان متميز ومتفوق..»، وتابع سماحته إن: «القرآن الكريم يدعونا و يوجهنا بأن ندرأ بالحسنة السيئة، ولا ندعها تصيبنا و تحيط بنا بل نبادر منذ البدء بدرئها بالحسنة والمعالجة السليمة لإن درهم في الوقاية خير من قنطار في العلاج «. واوضح أن :» الفرق بين من ينتهج سياسة درء السيئة، بالاستعداد والوقاية منها وبالتالي عدم وقوعها واحاطتها به، وبين من يعالج السيئة بعد أن ينتظرها حتى تأتيه، فيعالجها، هو الفرق بين من يتقدم ويسبق ومن يتأخر ويتعثر. وقال سماحته في جانب آخر من كلمته ان: «من أشد ما نعانيه في العراق هو الارهاب وعلى القوات والاجهزة الامنية وعلى شعبنا بكل اطيافه ومناطقه أن يكونوا منتبهين ويقظين وعلى أعلى درجة من الاستعداد لمواجهته ودحره»، وأكد بالقول: «في العراق لايجب أن يكون الأمن الذي تعيشه هذه المنطقة او تلك، مدعاة للغفلة والترهل، بل لابد من تخطيط واستعداد مسبق لمواجهة الارهاب لإن كل العراق مهدد وعلينا جميعا أن لانغفل، ونكون يقظين ومستعدين دائما». وفي اشارته الى اسباب وجذور الارهاب قال سماحته: ان: «الفقر والاضطهاد والقمع والدكتاتورية والقوانين الظالمة، كلها اسباب تولد الاحباط الذي يعيشيه الانسان وهذا الاحباط أحد الاسباب الرئيسية التي تدفع بالكثيرين في دولنا ومجتمعاتنا نحو الارهاب والتطرف».

واوضح سماحته ايضا أنه :» يجب توفير ما يمكن من شروط الحياة الكريمة حتى لا يصاب الناس بالاحباط والسخط والانكسار وتحطم النفوس. وأكد سماحته أن «مما يسهم في معالجة وباء الارهاب جذرياً والحد من تفعيل قانون وثقافة القرآن بدرء السيئة بالحسنة من خلال بناء سياسة حكيمة ونزيهة وبالحرية والديمقراطية والحوار والقوانين الصالحة واقتصاد عادل يوفر الرفاه للجميع» .

الشيخ عبد الغني عباس في حوار مع (الهدى):

يتمكن المثقف من نشر الثقافة النهضوية عندما يكون بعيداً عن الضغوط السياسية

السيرة الذاتية

• ولد سماحة الشيخ عبد الغني محمد آل عباس في مدينة القطيف ، شرق السعودية.
• مع تصاعد موجة الصحوة الإسلامية في عقد السبعينات، اختار الشيخ سبيل الهجرة، قاصداً الدراسة في الحوزات الدينية، فانضم في ريعان الشباب إلى حوزة الإمام القائم العلمية، ودرس فيها المقدمات تحت اشراف نخبة من الأجلاء الأفاضل.
• بدأ الدراسة في مرحلة «السطوح» على يد آية الله الشيخ المحمدي البامياني – دام ظله– وحضر بعد ذلك أبحاث الخارج عند كل عدد من العلماء الأعلام، أبرزهم: سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي، وسماحة آية الله الشيخ الخاقاني، وسماحة آية الله الفقيه السيد عباس المدرسي، و سماحة آية الله الشيخ فاضل السلطان.
• ساهم في إدارة جملة من الحوزات الدينية، مثل حوزة الإمام القائم بالسيدة زينب عليها السلام، في سوريا، وايضاً في ادارة الحوزة العلمية بالقطيف.
• اهتم الشيخ آل عباس بجملة فعاليات ونشاطات ثقافية، وفيها أبدع وقدم الكثير في ميادين الكتابة والخطابة والشأن الاجتماعي والقرآني. ففي الكتابة أسهم في رفد دوريات ومطبوعات عديدة منذ أواسط الثمانينات، كما صدرت مؤلفات عدة منها: «تطلع أمة قراءة في أفكار آية الله المدرسي»، و «القرآن والشريعة»، و«كيف نفهم الواقع»، في مجال الخطابة، خاض هذا الميدان منذ أوائل التسعينات، حيث كانت باكورة خطابته في لبنان لعامين متتالين ثم ارتقى المنبر الحسيني في السيدة زينب بسوريا، ثم استمر خطيباً في بلاده حتى هذه الساعة. وقد تميزت خطابته بالتركيز على البصائر القرآنية ومعالجة الاتجاهات الفكرية بعد رصدها، لاسيما في ما يتصل بالنهضة الثقافية. وفي الجانب الاجتماعي يسعى سماحته إلى بناء جيل صالح وتربيتهم وفق المنهج الرسالي القويم، وذلك ضمن دروس متفرقة في الفقه والثقافة والدراسات القرآنية. وفي الشأن القرآني أسهم في مع نخبة من الأفاضل في تأسيس «مؤسسة القرآن نور» عام ١٤٢٣ للهجرة، ضمن تصور خاص للعمل القرآني بحيث تكون متصدية لإبراز ثقافة قرآنية رسالية معمقة.

* أجرى الحوار: محمد علي جواد

التقيناه خلال الزيارة الأربعينية، حيث وصل مع عدد من الزائرين الكرام من المنطقة الشرقية في السعودية، فكانت الفرصة التي نستثمرها كل عام للقاء رموز الثقافة والفكر الرسالي في العالم الاسلامي الذين يفدون الى مدينة الحسين، عليه السلام، لأداء مراسيم الزيارة.. تميز برؤيته الشمولية والثاقبة وحديثه الدقيق الذي أصاب كبد الحقيقة في معظم الإجابات التي تضمنها هذا الحوار الذي بين يدي القارئ الكريم:

• لنبدأ من الساحة الثقافية والفكرية.. مع وجود التعددية في الافكار و الرؤى والاجتهادات، كيف ترون السبيل لإيصال الفكر والثقافة الأصيلة الى الأمة؟

- بسم الله الرحمن الرحيم

قبل أن نتحدث عن آليات وطرق وأساليب وصول الفكر الى الأمة، ينبغي أن نتحدث عن مصانع الأفكار التي يمكن

> مشكلتنا مع الذين يستنبطون الثقافة الدينية من منطلقات علمانية، أنهم يعيشون في جوٍ علماني، فيتأثرون به على حساب النصّ الديني

بواسطتها توجيه الأمة في مسارات واتجاهات معينة. ويبدو لي تحديداً، أننا بحاجة في هذه الأزمنة الى التركيز والتأكيد على الثقافة النهضوية للأمة، ذلك لأن الأمة بقيت لفترة طويلة من الزمن، أسيرة لجملة من الثقافات والافكار السلبية، سواء كان منشأ هذه الافكار، استنباطاً للافكار الدينية، او بسبب أدوات دخيلة من خارج الاطار الاسلامي. بمعنى أننا كلما نظرنا الى ثقافة سلبية في الأمة، علينا ان نبحث عن مصادرها.

مثالنا في ذلك؛ الثورة الفرنسية.. فقد وجد الثائرون آنذاك جملةً من الافكار السلبية المنتشرة في المجتمع الفرنسي، وكانت هذه الافكار بمنزلة العقبة والكابح أمام مسيرة الثورة الفرنسية. فبدأ الثوريون بالبحث عن مصادر هذه الثقافة السلبية، وتوصلوا الى ان مصادرها تنبع من السلطة القائمة.

فإذن؛ ربما لا تكون هنالك قطيعة بين السياسة وبين الثقافة، إنما في كثير من الاحيان نلاحظ ان السياسة توجه الثقافة. من هنا نقول: علينا التأكيد على الثقافة النهضوية في الأمة، وتراثنا الديني مليء بهذه الجذور التي تدعو الأمة الى النهضة. يكفي تاريخنا أن نعود الى عهد الرسول الأكرم، صلى الله عليه وآله، وكيف تمكن أن يحوّل ذلك المجتمع الصحراوي، الى مجتمع علمي وحضاري ومتقدم.. إنها الثقافة النهضوية للإسلام، التي رفعت من شأن هذا المجتمع وهذه الأمة لترتقي مراتب أعلى من حضارة الروم غرباً، وحضارة فارس شرقاً. ولا شك أن هذه هي مسؤولية العلماء والمفكرين والمثقفين والتربويين، وعموم الناطقين بهذه الثقافة، سواءٌ من خطباء وكتاب وفقهاء، عليهم أن يخرجوا من شرنقة الأطر الضيقة، وتوجيه الأمة وتزريقها بثقافة نهضوية حتى تصل الى حياة العزّة والكرامة والسعادة.

• من الملاحظ في الساحة، وجود تقاطع بين ما هو سياسي وما هو ثقافي. فكيف يمكن الحفاظ على مكانة الثقافة من التأثّر بالأجواء السياسية ومن محاولات تجييره وتوظيفه؟

- الأمر كما ذكرتم تحديداً.. هنالك اشكالية واقعية وحقيقية، ألا وهي التداخل بين السياسة والثقافة، لكن في ظنّي، اذا وجدنا هيمنة للسياسة على الثقافة، أو وجدنا الثقافة مؤجرة أو مستأجرة - كما نلاحظ في كثير من الاحيان لاسباب مختلفة- علينا أن ننحو منحى الاستقلال الثقافي. واذا لم يكن المثقف أسيراً للسلطة، أو حتى للشهوة، او لقوى الضغط الاجتماعي، آنئذٍ يتمكن من أداء رسالته بأصالتها وطيبتها ونقائها.

وفي قصة الكليم موسى، عليه السلام، مع فرعون، نلاحظ ثمة تجليات و أبعاداً واضحة في السياسة والثقافة والاقتصاد والتربية، بل هي جماع من أبعاد مختلفة، يذكرها الله تعالى في القرآن الكريم، إنما السبب في أنها غنية بالمعاني والعبر والدلالات. تقول الآية الكريمة: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ..﴾ (سورة الزخرف /٥٤). فاذا وجدنا انسياقاً من المجتمع للسلطة القائمة، انما له سبب، وهو الاستخفاف الذي يمارسه النظام الحاكم، ومثال ذلك «فرعون». لذا اعتقد أن المثقف يجب أن يكون فارغ البال من جميع هذه الضغوط. ولاشك هنا؛ أنه سيدفع ضريبة هذا الاستقلال الثقافي، من هنا نجد أن دعاة الاستقلال الثقافي يكونوا دائماً محطّ النظر، لأنهم محصنون من الضغوط الاجتماعية والسياسية. وفي قصة «فرعون» نلاحظ هذه القضية؛ ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا﴾، بمعنى أنه يريد أن يكون هو مصدر الثقافة.

وعليه؛ في ظنّي، المطلوب أن يلتصق المثقف بنصّه.. نعم؛ هنالك جدلية بين النصّ والواقع، لكن بامكان المثقف أن يسير في مسار لا يخالف النصّ ولا الواقع.. وهذا يحتاج الى دقّة في التفكير في استنباط الثقافة. نحن في بعض الاحيان نلاحظ أن توجهاً ثقافياً يَستغرق في مجال بحيث ينسى الواقع، ومثالنا في ذلك، الاتجاهات الصوفية، أو الاتجاهات التي لا تؤمن بالجهاد ولا بالتحرك، أو تلك التي تعيش حالة اليأس لسبب أو لآخر. آنئذٍ يسعون لقراءات مغلوطة من التاريخ الاسلامي، واذا بحثنا في جذور هذه القراءات

> مصالح الدول الكبرى، لها دور في تعجيل التغيير السياسي، قبل الثقافي، وهذا إن دلّ على شيء، فانه يدل على ضعفنا وليس قوتهم

المغلوطة، نجد مناشئها نفسانية، وليست علمية وصناعية دقيقة. وهذه تحديداً، مشكلتنا مع الذين يستنبطون الثقافة الدينية ولكنهم متأثرون بالأجواء العلمانية. لذا نلاحظ شخصاً يعيش في جو علماني، فيتأثر به على حساب نصّه الديني. أظن؛ ان الطريقة الفضلى لحل هذه الاشكالية، هو التعامل مع النصّ الديني بطريقة منسجمة مع الواقع.

في هذا الإطار ايضاً، نلاحظ أن مفردة «الملأ» وردت (١٧) مرة في القرآن الكريم، مرتان منها كان لهما دور ايجابي، وهي تحديداً في قصة بلقيس ، وفي قصة يوسف، بينما في (١٥) مرة كان لها تأثير سلبي على المصلحين، وعلى الذين يدعون الى الثقافة المستقلة، وهذه هي تجسيد لقوى الضغط الاجتماعي، وتتبعها قوى الضغط المالي والاقتصادي ، كما تتبعها قوى الضغط السياسي. لذا أظن، اننا بحاجة - في كثير من الاحيان- الى فصل الثقافة عن القوى المؤثرة، ولكن هذا لا يعني فصلها عن الواقع، فالمثقف عليه أن يلاحظ الواقع ملاحظةً دقيقة، وعينه الأخرى على النصّ الديني، لكن من دون الوقوع في المؤثرات المختلفة. من هنا تتجسد خطورة هيمنة السياسة على الثقافة، لأنها تؤدي الى حالة من اللبس بين الحق والباطل، وبين الابيض والاسود. فكلما كان المثقف بعيداً عن هذه الضغوط ، تمكن من استنباط واستيحاء جملة من الثقافات الحقيقية التي تؤدي الى نهضة الامة.

• هنالك ظاهرة التوجه نحو المعلومة والفكرة السريعة بالاستفادة من وسائل الاتصال المجانية، والاعتماد الكلّي عليها في بناء الفكر والثقافة، وعدم التوجه الى مصادرها وهي الكتاب.. ما هي الاسباب، والاقتراحات للتوجه نحو المطالعة ؟

- يبدو لي أن الهدف من المطالعة، هو التأمل. وربما تكون القراءة، أجلى وأعلى مصاديق التأمل. تلاحظون أن الانسان اذا قرأ سطراً او جملة او فكرة، سيتأمل فيها من مختلف الابعاد، وهذا ما نلاحظه في استحباب قراءة القرآن الكريم، حيث إن الانسان عندما يقرأ آيات الذكر الحكيم، يتأمل حروفها و اعرابها وكناياتها والحالة البلاغية فيها، وهذا ربما يدفعه لاستنباط جملة من الافكار. وكما تفضلتم؛ ربما لا نجد هذا في المعلومة السريعة، لأن الباحثين عن المعلومة السريعة، ربما لا يلحظون جانب التأمل والتفكر لإعمال العقل الذي يكون بمقدار أقل في المعلومة السريعة، منه في حالة المطالعة .

هنا يبدو لي أننا أمام أمرين: الاول: الدعوة الجادّة الى الكتاب، والامر الثاني: الاستفادة من التقنية الحديثة في مجال المطالعة. فعندما كنّا اطفالاً، ربما كان بامكاننا في اليوم استقبال معلومة واحدة، بينما اليوم أولادنا ربما يأخذون مليون معلومة في هذا اليوم الواحد. السؤال هنا؛ كيف لنا أن نوجه المعلومة؟ فهذا هو بيت القصيد..

أظن؛ اننا كمتدينين نعيش هذه الأزمنة الراهنة، ينبغي ان نعتمد على الوجبات السريعة. الوجبات الغذائية السريعة تسبب أذى للبدن، بينما الوجبات السريعة في الثقافة ربما تفتح ابواباً.. مثال ذلك؛ لو أننا أعددنا قصاصة ورقية بحجم الكفّ تضم فكرة معينة، ثم وزعناها على الزائرين المشاة بين النجف الأشرف وكربلاء المقدسة، كان أسهل وأيسر للقراءة من كتاب بصفحات عديدة. ثم علينا أن نتذكر أن التحول الانساني، أحياناً يكون في لحظة أو التفاتة خاطفة. فحتى لو كانت هذه الوجبات السريعة ذات أثر سلبي على إعمال العقل، بيد ان بامكاننا الاستفادة من هذه الطريقة، باعداد وجبات ثقافية مختزلة وسريعة. مثال ذلك برنامج «واتساب» على الهاتف المحمول، بامكانه أن يؤدي دور القصاصة الورقية التي تحمل فكرة سريعة. من هنا؛ أجد أننا مطالبون بتبسيط الثقافة، وعملية التبسيط هذه، بحاجة الى قدرة خاصة ، لأن تبسيط الافكار تنفعنا في نشر الثقافة الرسالية.

• ماذا عن آلية هذا التبسيط سماحة الشيخ؟

- ربما تكون الآليات تبحث في اوقاتها، انما المهم والمطلوب، تبسيط الثقافة الى جزئيات عديدة، ونغتنم الفرصة لنشرها. وهذه ربما تكون وظيفة الكاتب، فبدلاً من أن يكتب كتاباً من مائة صفحة، ليكتب كتاباً من عشر صفحات. ثم لا ننسى أن الاقبال على القراءة قليل بالأساس في بلادنا، فاذا كان الحال هكذا، من الصعب علينا ان ندعو القارئ لقراءة فكرة معينة.

نعم؛ هنالك في بعض الاحيان خطاب وإصدار للمتخصصين، وهذا له أجواؤه ومحافله الخاصة، كما هو الحال في الاوساط الاكاديمية، حيث يكون الطالب الجامعي مطالباً بأن يعتمد في دراسته الجامعية على المصادر العلمية المكتوبة وليست على مواقع النت، وأن يكون للمصدر تاريخ الطبعة، ومكان النشر وغير ذلك. بينما في التوجيه الاجتماعي والثقافي ، علينا اغتنام فرصة الوجبات السريعة لايصال الفكرة الى المخاطب العام بالطرق المختلفة.

• جربت شعوب المنطقة التغيير السياسي، فخرجت من نفق الديكتاتورية لتدخل نفق الفوضى السياسية والثقافية معاً. مصر وتونس مثالاً. ما السبيل باعتقادكم لإبعاد الثقافة عن التقلبات السياسية ومحاولات التوظيف والتجيير؟

- اذا نظرنا الى الاوضاع التي آل اليه وطننا الاسلامي، نصل الى النتيجة التي ذكرتموها.. لكن باعتقادي المشكلة ليست في التحولات السياسية الظاهرية. لأن التحولات التي جرت في بعض مجتمعاتنا، كانت بالحقيقة خارج السياق الصحيح. بمعنى أننا بحاجة أولاً؛ الى تحولات وانعطافات ثقافية، حتى يُصار الى إيجاد تحولات سياسية ثابتة وراسخة في نهاية

المطاف. بينما اذا اختزلنا المراحل، فحتى لو حققنا التحولات السياسية، فانه لن يفلح في توفير الأمن والاستقرار في المجتمع. وهذا ما لاحظناه في تونس ومصر، بينما وجدناه بالعكس تماماً في ايران. ففي هذا البلد كان التغيير ثقافياً بدايةً، ثم اتجه للانعطافة السياسية، لذا نلاحظ التحولات السياسية في السياق الصحيح. أما اذا سبق التحول الثقافي، التحول السياسي، أظن أن التحول الاخير سيكون بحاجة الى زمن طويل لمزامنة التحول الثقافي. وهذا لا يقتصر على الحالة الثقافية، إنما ينسحب على سائر جوانب الحياة.

من هنا؛ في ظنّي أن علينا السير في مجتمعاتنا ضمن المسار المرحلي حتى تكون النتائج ثابتة. من هنا؛ لا يمكن أن يكون خيارنا؛ التحول السياسي مع وجود الفوضى والانفلات الأمني وغيرها، لأن هذا التحول لا ينفع المجتمع. ولمعالجة هذه الاشكالية، علينا أن نجعل التغيير جوهرياً، ومن العمق، بأن نبني بنية تحتية، ثم نتدرج نحو الأعلى، حتى نصل الى التغيير السياسي.

لكن مشكلتنا اليوم - بالحقيقة- هي أن مصالح الدول الكبرى والضغوط الموجودة خارج ارادتنا، ربما يكون لها التأثير السلبي،

> انه مؤشر ايجابي وحسن، بأن لا يكون المتربون في الحوزات العلمية الوحيدين الذين يكتبون ويؤلفون، إنما تكون ساحة التأليف والابداع للجميع

وهذا إن دلّ على شيء، فانه يدل على ضعفنا وليس قوتهم. بمعنى أن العوامل الخارجية باتت اليوم مؤثرة على واقعنا ومجتمعنا. بينما نحن ابناء البلد والمجتمع، عاجزون حتى عن إيجاد تحولات في مستوياتنا الطبيعية قبل أن نصل الى التحولات الكبيرة.

• مجتمعاتنا الاسلامية تطمح للأمن والاستقرار والعيش الكريم. ما هي البرامج التفاعلية على الصعيد الاجتماعي والثقافي التي من شأنها جمع شمل المجتمع ، وتعطي أفقاً لمستقبل واعد، ولنا في المشاريع والبرامج الموجودة عندكم في المنطقة الشرقية مثالاً؟

- من حسنات جملة من المشاريع الموجودة في المنطقة الشرقية من السعودية حالياً، أنها نابعة من الواقع ذاته، لأن ربما يقيم الانسان مشروعاً، لكن لا يتناسب مع الواقع الاجتماعي. لذا نجد طلبة العلم والاخوة العاملين في المنطقة يسعون لابتكار وتقديم برامج تتناسب والمرحلة التي يعيشونها. وهنالك توجه الى الفعاليات الاجتماعية بشكلها الأعم، من تغطية حاجات الفقراء والمساكين، وايضاً العمل الثقافي، ضمن مشاريع مختلفة، في مقدمتها المشروع القرآني، بحيث لا أظن، منطقة أو مدينة عندنا تخلو من مشروع قرآني، سواءً على صعيد التلاوة والتجويد، أو على صعيد الثقافة والفكر والتدبّر.

هنا تجدر الإشارة الى أن حركة الكتاب، تشهد نهوضاً ملحوظاً في بلادنا، بمعنى أن لدينا الشاب يكتب والمرأة تكتب. ولا أخفيك؛ أن الفترة السابقة، كان طلاب العلم هم رواد الحركة الثقافية في السعودية، بينما اليوم نجد شريحة من المثقفين والمثقفات والشباب المؤمن والمتدين يكتب ويؤلف في شتى المجالات الأدبية والثقافية والفكرية، وهذا مؤشر ايجابي وحسن، بأن لا يكون المتربون في الحوزات العلمية الوحيدين الذين يكتبون ويؤلفون، إنما تكون ساحة التأليف والابداع للجميع، لأن الحركة الثقافية بالأساس تنبئ عن إعمال في الفكر والعقل، وتتطور شيئاً فشيئاً، وهذا أمر طيب، إذ تتعزز الثقافة في المجتمع، بابعادها المتعددة، من ثقافة اجتماعية أو اقتصادية او حتى نفسية وسلوكية، الى جانب الثقافة الدينية البحتة.

• ما هو السبيل باعتقادكم لإذابة الجليد عن العلاقة بين الحوزة والجامعة، وجعلها علاقة تكاملية؟

- هذا السؤال؛ مما يجب التأمل فيه ملياً، نظراً الى وجود العلاقة المتوترة والمتشنجة بين الحوزة العلمية والجامعة خلال العقود الماضية.

بدايةً؛ نحن ندعو طلبة الحوزة العلمية الى مزيد من الثقافة، كما ندعو طلبة الجامعة الى مزيد من المرونة، ذلك أن الحركة هي بالأساس، تكاملية، نعم؛ ربما يغرق طالب العلم أحياناً في جملة مرئياته بعيداً عن الواقع، وربما ايضاً، يغرق المثقف في جملة من مرئياته على حساب الدين. وهذه معادلة طبيعية، فكل انسان يتجه بالإكثار في باب، يكون ذلك على حساب باب آخر. وهنا؛ لا أريد أن أنحو باللائمة على الحوزات الدينية وعلمائها، ولا على الجامعات، إنما من خلال القبول بالآخر، يمكننا الوصول الى حالة جمعية بين الأمرين، مهما كانت التعقيدات، لذا أظنّ، أن النصّ الديني، يجب أن يكون هو الحَكَم، وعليه؛ أدعو أخواننا المثقفين والجامعيين، الى تتبع الحالة

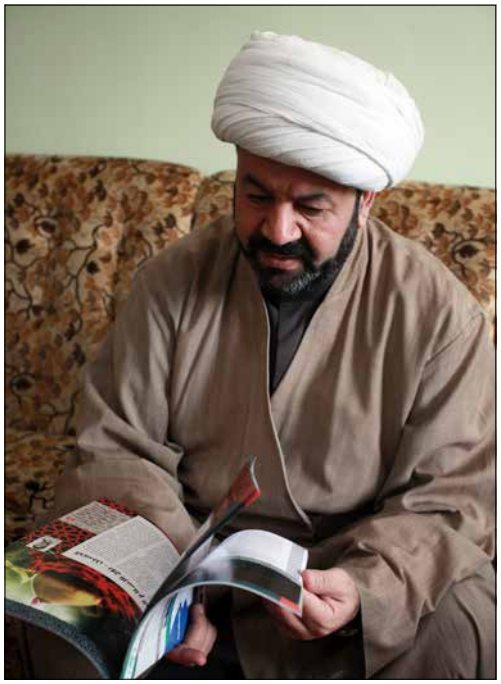

> الخطر الأكبر، في التوصل الى نتيجة أو تشريع من نصّ ديني، على «الاستحسان» أو «المزاج» أو «المناسبة» التي لا يوجد لها محددات و ضوابط

الصناعية في النصوص الدينية. ربما أنت كمثقف تتعامل بطريقة معينة مع الفكر والثقافة، لكن لا يصحّ أن نغفل عن المكوّن الديني للثقافة والفكر. واذا راجعنا عهد المأمون العباسي وحركة الترجمة التي شجع عليها، نجد أنها شكلت خطراً كبيراً على الثقافة الدينية آنذاك.

• ماذا تقصدون بالحالة الصناعية؟

– المقصود؛ أن هنالك حالة منطقية وأصولية مقبولة للتعامل مع النصوص الدينية، فلا يصحّ ان نتعامل مع النصوص الدينية بخلاف هذه الحالة. فاذا كانت لدينا دلائل وقرائن ، جاز لنا الاستناد اليها. وهذا النقاش دائر على الصعيد السياسي ايضاً، فحينما نتحدث عن «ولاية الفقيه»، أو «شورى الفقهاء»، نسأل عن وجود النصّ المحدد أو الشكل السياسي لهذه المسألة..؟ وهل هناك شكل سياسي – ديني أم لا..؟ أم أن هنالك جملة من المبادئ في السياسة. وللعلم هنا؛ فان الفقهاء يعتمدون على الحالة الصناعية في المسائل الفقهية. بمعنى أن الفقيه لا يتوصل الى نتيجة، إلا بعد الاستناد الى حالة معينة داخل النصّ، ربما تكون حالة بلاغية أو عرفية، أو استفاد من كلمة معينة في النصّ بطريقة معينة. لذا أظنّ أننا جميعاً ، لاسيما مثقفو زماننا اليوم، عليهم ان يبحثوا عن الحالة الصناعية الفقهية، وكيف يمكن ان يتوصل الانسان، وإن كان غير متدين أو طالب علم، الى نتيجة من نصّ ديني. أما اذا صار الأمر مدار الاستحسان والمزاج والمناسبة التي لا يوجد لها محددات وضوابط، أظنّ انه هو الخطر الأكبر. وإذن؛ على الحوزة والجامعة ان يتحاكما الى طبيعة النصّ الديني – الصناعي، فاذا كنت امتلك حالة صناعية بواسطتها توصلت الى نتيجة، فذاك أمرٌ مقبول، وفي غير ذلك، وحتى اذا كان طالب علم، لكنه توصل الى نتيجة بطريقة غير صناعية، إنما بطريقة «ظنّية» أو «حدسية» مثلاً.. هنا لا تكون النتيجة قطعية، ولا أكون ملزماً باتباعه ، وهذا ما يجب على الاخوة المثقفين تفهّم هذه الحالة. بمعنى؛ ان الضغوط الاجتماعية وغيرها، لا يمكن ان تكون سبباً تدفع الفقيه لتشريع معين.

• اذا اتفقنا على وجود التنوع في الرؤى والافكار في الساحة الثقافية، هل ترون من دور لعالم الدين في توحيد الصفوف و تعزيز أواصر المجتمع؟

– للإجابة على هذا السؤال، لابد أن نقر بحقيقة وجود النسبية في زماننا الحاضر.. بمعنى أني لا أتمكن من الجزم أني على حق، والآخرين على باطل، كما القول المشهور: «إني على حق، ويحتمل أن يكون قولي على خطأ، وأنك على خطأ، ويحتمل أن تكون على قولك على صواب». وقبل الحديث عن القبول بوجود التعددية في الاجتهادات، يجدر بي الإشارة الى ضرورة البحث عن الاجتهادات المقبولة والمتوافقة مع الحسّ الصناعي الفقهي، ذلك انه ربما تكون بعض المسبقات والخلفيات التي يتمتع بها الفقيه أو المثقف، سبباً للوصول الى النتائج، حتى وإن كانت خاطئة. لذا نحن نقبل بالاجتهاد الذي يتوفر على مؤيدات من الواقع. من هنا تأتي الدعوة – بالحقيقة– الى الاهتمام بالقرآن الكريم، حتى يُصار الى صناعة ما يشبه «القاعدة». فمن يقرأ القرآن الكريم ويتأمل فيه مراراً، ربما تصنع له هذه القراءة قاعدة، تمكنه من أن يستحسن أو لا يستحسن. وأظنّ أن هذه الطريقة أفضل بكثير من أن يترك الانسان القرآن ثم يستحسن، لأن في الحالة الاولى، يستحسن الانسان ضمن المسار القرآني والديني، بينما الآخر، ربما لا يكون له مسار محدد.

مع وجود هذا التعدد والتنوع في الاجتهاد، نصرّ على أن عالم الدين، يجب أن يكون عامل جمع لا عامل فرقة، فاذا تصدّى عالم دين ليكون عالم جمع في منطقته أو بلده أو أمته، يكون قد أدى وظيفته الحقيقية. اما اذا انسلخ عالم الدين من وظيفة الجمع، فانه سيكون مكرساً لعامل الفرقة والتحزّب والعصبية، وهذا يمثل أكبر المخاطر التي تهدد مجتمعاتنا اليوم. وهذا إن دلّ على شيء، فانه يدل على أن الذين يسعون لتكريس الفرقة والخلاف ، لا ينظرون الى المصالح العامة للأمة، بينما نلاحظ في سيرة وحياة الانبياء والرسل أنهم كانوا يدعون الى الجمع لا التفرقة، كما نلاحظ، أن بين رسول الله، صلى الله عليه وآله، كان هنالك الرومي والحبشي والفارسي وغيره، كذلك الحال عند الأئمة المعصومين، الذين احتووا كل التوجهات، التي ربما كانت مغايرة، لكن لانهم كانوا يسعون الى الجمع، تمكنوا من استيعاب المجتمع بأكمله، وهذا ما يجب أن يقتدي به علماؤنا اليوم.

• شكراً سماحة الشيخ على هذه الاجابات الدقيقة، واتاحتكم الفرصة لهذا الحوار.

– جزاكم الله خيراً، وأرجو ان تكون كل كلمة تكتبونها في هذه الصفحات، تكون في ميزان أعمالكم.

لكي نقتلع الإرهاب من الجذور

* الشيخ محمد حسن الحبيب

تشهد الساحة الإسلامية موجات متنوعة وشديدة من العنف والاحتراب الداخلي، وقد أضاف إلى ما نعاني منه لوناً جديداً من المشاكل والأزمات الداخلية، خصوصاً وأنه التصق بصبغة الإسلام تارة، وبالصبغة المذهبية أخرى، فالقتل وسفك دماء الأبرياء والاعتداء على كل مقدس وانتهاك حرمة بيوت الله، وهدم البيوت التي أذن الله أن تُرفع ويذكر فيها اسمه، كل ذلك باسم الإسلام وتحت ذريعة مقاومة المحتل وقواته الغازية، والتمكين لقيام دولة التوحيد، بل حتى تفجير المنائر التي يرتفع منها صوت التوحيد تكون هدفاً مشروعاً تحت تلك الذرائع.

ونتيجة لذلك فقد عملت جهات رسمية وأخرى شعبية على التصدي لهذه الظاهرة بطرق مختلفة، الأبرز فيها المعالجات الأمنية، تليها معالجات خجولة حملت اسم المعالجات الثقافية، وهي في الواقع ذات طابع وعظي أريد له تسجيل بعض المواقف المؤيدة للدولة وطريقتها في معالجاتها الأمنية.

والذي يظهر من كل هذه الجهود المبذولة بما فيها المعالجات الأمنية أنها تعاني من قصور أو تقصير شديدين، أو أنها في أحسن الأحوال والفروض لم تحقق أهدافها، وذلك لأنها مثل كثير من الأمراض، إذا لم تعالج من الجذور فإنها ستعاود الظهور وربما أكثر من سالف أيامها، وهذا ما حصل فعلاً..! لذا ينبغي أن يستنفر عقلاء الأمة من العلماء والمفكرين والمثقفين، وإلى جانبهم الساسة وصُنَّاع القرار لمناقشة هذا المرض والوقوف على أسبابه وتحديد مصادر تغذيته والبيئات الحاضنة له، وطرق معالجته.

من وجهة نظر الدين، فان هذه المشكلة لم تكن بعيدة عن دائرة الضوء في معالجة الإسلام للمشاكل التي تحيط ببني البشر، فمنذ الأيام الأولى وقف الإسلام موقفاً حازماً ضد ظاهرة الإفساد في الأرض (الإرهاب)، وقد ظهر ذلك الموقف الحازم في حكم القرآن الكريم على المفسدين بالقتل، أو الصلب بعد القتل للعبرة والعظة، أو الصلب حتى الموت (على اختلاف الأقوال)، أو قطع أيدي المفسدين وأرجلهم من خلاف وإبقائهم حتى الموت أو النفي وهو أهونهم، وجعل أمر التخير في هذه العقوبات للحاكم العادل.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة المائدة / ٣٣).

وبعيداً عن إشباع غريزة الانتقام لدى الحاكم، كان لا بد من حصر دائرة المفسدين من خلال تقديم الأدلة الدامغة ضدهم وإلا عُدَّ الحاكم في عداد المفسدين. وحينما تشيع حالة الإفساد في الأرض وتصل إلى مستوى الظاهرة فإن الاكتفاء بهذا النوع من العلاج لن يجدي نفعاً لذا لا بد أن يكون إلى جانبها معالجات فكرية وثقافية، على أن تسبقها مراجعات لبعض الأفكار التي تُسهم بطريقة أو بأخرى في تفريخ أو تغذية هذه الظاهرة. منها:

أولاً: العلاقة بين الدين السياسية

من المفترض أن تكون العلاقة بين الدين والسياسة هي علاقة القائد بمقوده والتابع بمتبوعه، فالدين أولاً وأخيراً هو الحاكم والمهيمن على السلطة السياسة وشؤونها، والأخيرة ما هي إلا أداة لإقامة شعائره وتطبيق شريعته في كافة نواحي الحياة.

ونظراً للقراءات المتعددة في فهم الدين واختلاف الرؤى في تفسير نصوص الشريعة، فقد تم تقديم الإسلام إلى العامة بأشكال متنوعة وفي بعض الصور يكون التناقض بينها واضحاً وجليًّا، وبغض النظر عن أثر العوامل الغريبة في بلورة هذا الرأي أو ذاك، إلا أن هذا الحال فتحت المجال أمام ذوي المطامع والأهواء من الداخل، بل وفي بعض الأحيان من خارج دائرة المسلمين؛ لتوظيف الدين لأغراض سياسية، ليقدموا تصوراً خاصاً يبرر وجودهم كدول أو كحركات وأحزاب، ويضفي عليهم الشرعية المستندة إلى الشريعة.

ثانياً: الكفر والإسلام

ونتيجة للقراءات المتعددة في فهم الدين ونصوصه، تنوعت المذاهب الفقهية والعقدية عند المسلمين، وراح كل واحد منهم يجتهد في تحديد الضوابط التي مَنْ تقيَّد والتزم بها دخل في عداد الموحدين وجرت عليه أحكام الإسلام. فهناك رأي ينتهي إلى القول بكفر المسلمين جميعاً إلا من ارتضى عقيدتهم وقبل قولهم.

ومن الواضح البيِّن أن بقاء هذا التباين بين النظرتين يزيد من تنامي ظاهرة الإرهاب ويوسع من دائرتها أكثر مما عليه اليوم، خصوصاً وأن هذا التباين لم يبقَ حبيس المجامع العلمية وغرف البحث والمناظرة، بل تعدى ذلك إلى المواجهة الشاملة، فمن يقول بكفر الآخر وارتداده يبيح لنفسه استخدام كل الوسائل الإعلامية والتربوية وغيرها في سبيل التعبئة والتجييش وصولاً إلى الاستمالة والتأثير أو الاستئصال.

ثالثاً: المقاومة

المقاومة حق مشروع كفلته جميع الديانات السماوية والقوانين الوضعية، فلا يمكن لأحد أن يعترض على مقاوم إذا وجَّه سهامه ضد المغتصب والمحتل، ولا أعتقد أن أحداً يمكن له أن يناقش في مشروعيته في أي مكان فما دام هناك قوة احتلال وغصب فوجود المقاومة من الأمور الطبيعية. ولكن النقاش يكمن في جدوائية المقاومة المسلحة، وحدود المقاومة ولونها.

هذه النقاط يمكن أن يكون الاتفاق عليها طريقاً نهتدي من خلاله إلى أسباب الإرهاب والاحتراب، والسبيل للخروج من هذا الكابوس الذي لم يوفر أحداً إلا وأصابه بنيرانه حتى من بذر بذوره وأمده بالمال والامكانات السياسية والاعلامية. فهل نفكر ونتفاكر فنهتدي إلى اقتلاع الإرهاب من جذوره، أم ماذا؟

---

* عالم دين من السعودية

الأمة.. والوصول الى المرجعية القيادية

* الشيخ عبدالحسن الفراتي

إن للرسل العظام كلمة واحدة، جاؤوا ليبلّغوها للناس، مهما فصل بينهم الزمن واختلفت الاوضاع التي لابستهم، إنها: «لا إله الا أنا». هذا في مجال العقيدة، كما في قوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله الا أنا﴾ (سورة الانبياء/ ٢٥)، و في مجال الشريعة، كما في قوله تعالى: ﴿إن هذه امتكم أمة واحدة وانا ربكم فاعبدون﴾ (سورة الانبياء/ ٩٢).

إن «لا إله الا الله»، فلسفة في العقل، وانسجام في الفطرة وشعور في الوجدان، و «فأعبدون».. هي الفاعلية في النفس بالحب والخضوع، و حركة في الاركان والجوارح بالركوع والسجود، وانها منهج في الحياة يتبعه البشر فيسعدون.

الآية الكريمة، تذكرنا بحقيقة ما أكبرها..! وما أغفلنا عنها وهي؛ ما دام الإله واحداً فلابد أن تكون السيادة واحدة، والعبادة واحدة، والطاعة واحدة، فلا يجوز الخضوع لسيادة، ولا إتباع أحد، ولا طاعة نظام لم ينزل به الله من سلطان.. وهذا ما تصرّح به الآية الأولى.

وفي الآية الثانية تكون الامة الاسلامية أمة واحدة، ووحدتها نابعة من وحدة إتجاهها الفكري والعملي. فالله هو ربّ هذه الامة، فيه يعتقدون الفكر وإياه يعبدون في العمل. ثم يستحيل أن يأذن الله بانضواء البشر تحت لواء سواه، كما تفيده الآية الكريمة: ﴿وما أمروا إلاّ ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾، أي ان يخلصوا له الدين والطاعة، ويوحدوه في السيادة. وبمعنى أن الذي يخضع لدين من جانب، ولغيره من جانب آخر، لم يخلص الدين، بل خلطه بغيره.

هذه المبادئ التي يقرها الاسلام ويؤكد عليها، تشمل ناحيتين من حياة الانسان على الارض:

الاولى: ناحية الحكم.

الثانية: ناحية الحاكم.

فاذا كانت الولاية لله، واذا كانت السيادة القانونية، والحاكمية المطلقة له سبحانه، لم يجز للبشر - الذي لا يملك ولاية على نفسه ولا سيادة ولا حاكمية- أن يشرع «قانوناً»، أو ينصب نفسه «ولياً» إلا بإذن الله الولي والسيد الحقيقي، والحاكم المطلق الوحيد،كما لا يجوز له ان يتخذ «حكماً» أو ينتخب «حاكماً» لم يأمر به الله، اذ أنّ المسلم لابد أن يشعر في نفسه بعبودية خالصة لله تعالى شاملة لجميع ابعاد حياته، محيطة بكل جوانبها، وما التشريع والسيادة إلا بعض أبعاد الحياة فلا بدّ أن يخضع لسيادة الله ايضاً.

ومن هنا يتحتم إتباع الرسول، لأن إتباع الرسول هو اتباع الرسالة، وتحقيق سيادة الدين التي هي سيادة الله وحاكميته، والى هذا يشير القرآن قائلاً: ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ (سورة النساء/ ١٢)، كما ان إتباع الرسالة لا يمكن الاّ باتباع الرسول، إذ هما رافدان من نبع واحد لا يمكن ان يفترقا، فهما مظهران لطاعة الله وعبادته والخضوع لحاكميته.

وبعد الرسول الأكرم، تبقى مجموعة من سننه، صلى الله عليه وآله، وتضاف الى الرسالة الموحى بها، فتُسمّى بالشريعة، ويجب على المسلم أن يتبعها، لأنها شريعة الله، ولا يحق لأحد أن يعصيها اذ انه

> أخّر الله تعالى الظهور، ليؤسس دولة الحق والعدل حينما تفشل كل النظم المبتدعة، وبعد أن يدرك ويقتنع الناس في العالم بأسره، بعقمها وفشلها، حينئذ يتطلّعون تلقائياً الى المنقذ

يسمّى آنذاك مشركاً في عبادة الله، مدعياً سيادة اخرى مع سيادة الله الذي له السيادة والحاكمية وحده.

وهكذا الحال في الامام، الذي يمثّل الشريعة لانه أعطى علمها كاملاً وتحمل أعباءها، فلا يحق لأحد أن يتخذ إماماً لم يأمر او لم يأذن الله تعالى باتباعه، وإلا كان شركاً بالله تعالى يرفضه منطق التوحيد الخالص،[1] يقول القرآن الكريم: ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة﴾ (سورة القصص/ ٦٨).

ولما كان الخلق لله ، لم يكن لهم ان يختاروا لأنفسهم ما داموا مخلوقين ومربوبين له تعالى، بل الله يختار لهم.. وفي الحديث: «إن الامامة أجل قدراً وأعظم شأناً وأعلى مكاناً وأمنع جانباً وأبعد غوراً من أن يبلغها الناس بعقولهم او ينالوها بآرائهم».[2]

من هنا يعتقد المسلمون الذين تلقوا تعاليم الاسلام عن طرق أهل بيته المعصومين عليهم السلام، بان الذي يمثل قمة هرم الامة والدولة الاسلامية هو رسول الله ،صلى الله عليه وآله، ومن بعده الأئمة المعصومون الاثنا عشر الذين عينهم الرسول الكريم باسمائهم واحداً بعد الآخر.

* المعصوم يمهّد للقيادة المرجعية

وقد سنحت فرصة ممارسة قيادة الدولة الاسلامية مضافاً الى دور الامامة بعد الرسول الكريم ،صلى الله عليه وآله، لأمير المؤمنين علي بن ابي طالب ،عليه السلام، مدة خمس سنين ولولده الحسن بن علي ،عليهما السلام، سنة واحدة بعده، اما الائمة المعصومون الآخرون، سلام الله عليهم اجمعين، فلم تتوفر لهم هذه الفرصة، وهم (عليهم السلام) - بحسب ما تتمتع به قيادتهم من خصائص- لا يكرهون الناس على اتباعهم بالقوة، بل يقنعون الأمة بمشروعهم فاذا اقتنعت بقيادتهم مارسوها، و إلا مارسوا دورهم الايجابي المبني على الحوار والاقناع، هذا كله مضافاً الى مواصلة دورهم الاستراتيجي، الالهي وهو دور الامامة والولاية الالهية على الناس.

ولما اقتضت المشيئة الالهية خفاء الامام الثاني عشر بعنوانه لا بشخصه، و إلا فانّه موجود بين الناس ويعيش كما يعيشون، لكن لا يعرفونه بشخصه. بمعنى أن الله سبحانه، أخّره ليؤسس دولة الحق والعدل حينما تفشل كل النظم المبتدعة، وبعد أن يدرك ويقتنع الناس في العالم بأسره، بعقمها وفشلها، حينئذ يتطلّعون تلقائياً الى المنقذ العظيم، لهذا مهّد الأئمة، عليهم السلام، الذين سبقوا الامام الثاني عشر، بالتثقيف والتوعية وبيان المبررات والاسباب ، لحالة إنقطاع الامام عن جماهيره لفترة من الزمن، وتعيين وكلاء له، حتى اصبحت الأمة قادرة على التعايش مع هذه الحالة، فوقعت غيبة الامام الثاني عشر، بعد ان وضح ،عليه السلام، لأتباعه معالم الطريق، فلم يعين له خلفاء محدَّدين بالاسم وانما وضع شروطاً فمن انطبقت هذه الشروط عليه، كان هو النائب عن الامام المعصوم، وعلى الامة ان تتبعه كما تتبع الامام المعصوم - بفارق ان المعصوم معصوم من أي خطأ ولكن النائب له قد تحدث منه زلة ما - لذا قرنت الاحاديث الشريفة طاعة المرجعية الدينية الجامعة للشروط، بطاعة الامام، عجل الله فرجه الشريف، كما يقول الحديث الشريف: «اما الحوادث الواقعة فارجعوا بها الى رواة احاديثنا فإنهم حجتي عليكم وانا حجة الله عليكم»، والحديث الآخر عنه، عجل الله فرجه،: «من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً لهواه مطيعاً لأمر مولاه فللعوام ان يقلدوه».

فنفهم ان من هذه الشروط، بلوغ أعلى الدرجات العلمية المعروفة بـ«الاجتهاد»، وحصول القدرة على التوصل الى الحكم الشرعي من مصادر التشريع الاصلية.

والشرط الآخر؛ هو الدرجة العالية من ضبط جماح النفس وكبح شهواتها والعمل الجاد على تحلّيها بفضائل الاخلاق وتهذيبها من الرذائل الخلقية التي تنافي انسانية الانسان ونهت عنها الشرائع الالهية المقدسة، فيقول الحديث عن المعصوم ،عليه السلام،: «من طلب علماً ليصرف وجوه الناس اليه فليتبوأ مقعده من نار جهنم».

وكذلك؛ الخبرة بشؤون الحياة وتفاصيلها وما يكتنف الأمة من احداث وتحديات، ويستعين بالخبراء في مختلف الاختصاصات، اذا لم يكن محيطاً بها بالمقدار المطلوب.

وتقوم هيئة من العلماء القادرين على التحقق من توفر هذه الشروط في المجتهد لتعترف له بالمرجعية، وتدعو الناس الى تقليده والرجوع اليه في الاحكام الشرعية.

* دور إنساني بنّاء

وبالتأكيد؛ فان وظيفة الفقيه لا تنحصر بالفتوى وبيان الاحكام الشرعية، إنما له وظيفتان أُخريان:

١- القضاء بين الناس وفض الخصومات.

٢- تدبير شؤون الامة وولاية أمرها.

ومن خصائص رسالة المرجعية الدينية ايضاً:

١- اعتماد سياسة الحوار لإقناع الآخرين، وهذا هو مبدأ قرآني أصيل، لقوله تعالى: ﴿لا إكراه في الدين﴾ وقوله: ﴿ادعُ الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ (سورة النحل/ ١٢٥).

٢- العالمية: وتتمثل في تحسس آلام وهموم البشر جميعاً، لأن قلبها مملوء بالرحمة وحب الخير لكل الناس تأسّياً بالنبي ،صلى الله عليه وآله، الذي خاطبه الله تبارك وتعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (سورة الانبياء/ ١٠٧)، ومن كلام امير المؤمنين علي بن ابي طالب ،عليه السلام، الى مالك الاشتر لما ولاه مصر: «..واشعر قلبك الرحمة للرعية فانهم صنفان، امّا أخ لك في الدين او نظير لك في الخلق»[3] فتجد المرجعية الدينية حاضرة بتعليقاتها ومواقفها في إعصار «تسونامي» في جنوب شرق آسيا - مثلاً- وايضاً في إعصار «كاترينا» في الولايات المتحدة، وغيرها من الكوارث الطبيعية. وايضاً ما يتعلق بالازمات العالمية، مثل أزمة الديون وانهيار المصارف بسبب تعاطي الفوائد المجحفة (الربا)،

> حينما أعطت الشريعة هذا الدور الواسع للفقيه، فانها لم تعط له كشخص حتى يستكثر عليه، إنما للطابع القانوني الذي يمثله، بمعنى أنه يمثل،قانون الاسلام،

وكذلك الحضور بالرأي والموقف والبيان و إصدار المواقف في الحروب الاهلية في افريقيا، وما يعيشه العالم المسيحي من تقاطع مع العالم الاسلامي.

هذا ناهيك عن حضور المرجعية الدينية في دعم ومساندة قضايا المسلمين، مثل إصدار البيانات والمواقف في زيارة عاشوراء و أربعين الامام الحسين ،عليه السلام، والدعوة للتغيير والبناء الذاتي، وإعمار البلاد، بالاستلهام من ثورة ابي الاحرار الحسين بن علي ،عليه السلام، وكذلك توحيد المواقف في موسم الحج، والدفاع عن قضايا الشعوب المظلومة المضطهدة، مثل قضية فلسطين ولبنان والبحرين، ودعم قضايا المرأة التي تحاول بعض الجهات العلمانية، استغلالها والمتاجرة بها، من خلال رفع شعارات الحرية وحق العمل وغيرها، بما يؤدي الى المساس بكرامتها وعفتها. وهنالك أيضاً؛ التصدّي لثقافة التكفير و إلغاء الآخر بفضح كهنة السلاطين و ابواق الشياطين من ادعياء الفتوى.

٣- الشمولية: أي شعورها بالمسؤولية أزاء كل القضايا التي تمر بها الانسانية لانها تمثل الشريعة والقانون، كون الشريعة الاسلامية غطت كل شؤون الحياة بالنصوص المباشرة، و وضعت القواعد التي يُستنبط منها الحكم والحل والموقف أزاء مختلف القضايا، ولذا؛ حينما أعطت الشريعة هذا الدور الواسع للفقيه، فانها لم تعط له كشخص حتى يستكثر عليه، إنما للطابع القانوني الذي يمثله، بمعنى أنه يمثل «قانون الاسلام»، تماماً؛ كالقاضي في المحاكم الموجودة حالياً، حيث لا سلطة للحكومة ولا لغيرها عليه - كما هو المفترض- وينفذ قراره على الجميع، وهذه الهيمنة ليست له كشخص، وانما للقانون الذي يحكم به.

وانطلاقاً من هذه المسؤولية نجد المرجعية، تسلط الضوء وتتابع ظواهر وحالات عديدة في العالم، من انتشار الأوبئة و مشاكل البيئة والانفجار السكاني، والمخدرات والتدخين والامراض النفسية في العالم وغيرها.

٤- المبدأية ونزاهة الاساليب؛ فهي تؤمن ان الغاية مقدسة، فلا بد ان تكون الوسيلة والواسطة ايضاً مقدسة، وبعبارة اخرى ضرورة مراعاة التقوى في الاهداف والاساليب، ولا تؤمن بالنظرية السائدة «الغاية تبرر الوسيلة»، ولا تجعل القيمة العليا في اعمالها ومشاريعها وسياستها للمصالح، إنما للمبادئ وحسب، وان كل مصلحة تتعارض مع المبادئ فهي مفسدة.

٥- الشفافية في التعاطي مع الجماهير وعدم اتباع سياسة الخداع والتجهيل والتضليل لأنها، فلا تخشى احداً، لأنها لا تريد مكسباً لنفسها انما تريد الخير للآخرين.

٦- الحرص على إعمار الحياة والدعوة لإقامة النظام المتحضر للمجتمع والمحافظة على الدولة والمؤسسات التي تحفظ النظام الاجتماعي العام، وتعتقد ان الشريعة المباركة هي الاصل والسابق لبناء المجتمع المدني المتحضر ومؤسساته ومنظماته.[٤].

وتأسيساً على ذلك، وعلى صعيد العراق مثلاً، كان للمرجعية الدينية دور ايجابي وبناء في منع انهيار المجتمع وعدم انزلاقه في الحرب الطائفية والحفاظ على المال العام. مع الدعوة الحقيقية للمشاركة الشعبية في بناء الوطن والمشاركة في الانتخابات وانتخاب النزيه والكفؤ، لا سيما في قضية صياغة الدستور العراقي الذي أقرّ في البند الثاني، بضرورة عدم تعارض تشريع القوانين مع شريعة السماء [٥]، مما حدا بممثلي الشعب لذكر دور المرجعية الدينية في ديباجة الدستور العراقي، وهذا شكل نجاحاً للمرجعية الدينية، التي وصفها الدكتور محسن عبد الحميد بـ «المعجزة»، خلال زيارته لمراجع العراق عندما كان رئيساً دورياً لمجلس الحكم.

وتكفي الزيارة المليونية، لاسيما في زيارة الاربعين، و توجه الملايين مشياً على الاقدام صوب مرقد أبي الاحرار الامام الحسين ،عليه السلام، من كل بقاع العالم، لتكون مؤشراً متقدماً لنجاح المرجعية الدينية، عبر حوزاتها وخطبائها بإيصال صوت الحسين ونهضته الى كل بقاع و اصقاع الارض.

أما دور المرجعية في قيادة سوح الحق والوغى ضد الباطل عبر التاريخ القديم والحديث، فيطول فيه المقام، كمشاركة السيد محمد المجاهد - احد علماء كربلاء - في الحرب ضد الروس أثر هجومهم على ايران، وكذلك فتوى تحريم التبغ في ايران من قبل المرجع الديني السيد محمد حسن الشيرازي، ضد شركة «الهند الشرقية البريطانية»، وكذلك ثورة العشرين بقيادة المرجع الديني الشيخ محمد تقي الحائري الشيرازي. وما بعده شيخ الشريعة الاصفهاني. وايضاً دور الشيخ الآخوند الخراساني في «ثورة الدستور» بقيادة الشيخ فضل الله النوري، والثورة الوطنية بقيادة السيد ابن القاسم الكاشاني والدكتور محمد مصدق.

١/ القيادة الاسلامية - جواد كاظم ص٣١

٢/ كتاب الكافي/ ج١/ ص١٥٤

٣/ نهج البلاغة/ عهد مالك الاشتر.

٤/ دور المرجعية الدينية في الامة الاسلامية - موقع الصادقين

٥/ وبهذا الصدد أقام مكتب المرجع المدرسي أكثر من (١٤) مؤتمراً في محافظات عراقية مختلفة بما فيها كربلاء المقدسة، والعاصمة بغداد، بخصوص صياغة الدستور العراقي وقد أداره وحضره قانونيون عراقيون، مما شكل عاملاً محفزاً للاستلهام من القيم الالهية والانسانية، ولاسيما من عهد مالك الاشتر (رضي الله عنه) عند كتابة الكثير من بنود الدستور العراقي، ناهيك عن الاتصالات الخاصة باللجنة المختصة للتأكيد على تضمين الشريعة كونها مصدراً أساساً في الدستور.

مشاريعنا الدينية والعمل المؤسسي

*** أنور عزّالدين**

إن الإنتقال من العمل الفردي إلى العمل المؤسسي في المجال التطوّعي الديني يعدّ تحوّلاً نوعياً في مساراته وتكامليته، استجابة لمتطلبات الواقع الذي يحتاج إلى كثافة في الإمكانيات وتوحيد للجهود ورص الصفوف، في سبيل إنجاز المهام الموكلة للمؤسسة الدينية في المجتمع.

إلا أنها لا ينبغي أن تقف عند هذا الحد من طور التقدّم، وإنما عليها أن تستوعب الشروط الإدارية التي تقوم عليها فكرة المؤسسة لكي تؤتي فاعليتها بقوة المؤسسة لا بقوّة الفرد.

فمن الفجوات التي تعاني منها أغلب الجمعيات والمراكز والحوزات المهتمة بالشأن الديني هي أنها لم تول الجانب الإداري أهمية بقدر الجوانب الأخرى، برغم أن ما يميّز العمل الفردي عن المؤسّسي هو النظام الإداري الذي تعتمد عليه، ليكون مجرى ونهجاً لكافة الجهود، محققاً بذلك قوّة العمل المؤسسي.

إن الفكر الإسلامي لا يخلو من الأسس الأولية التي يعتمد عليها التفكير المؤسسي، مثل قيمة التعاون، والتنافس، والتخصص، والتشاور، والتنظيم، والاتقان، وما إلى ذلك من قيم، إلا أن المؤسسة الدينية مازالت بعيدة عن هذه القيم العظيمة، وإن قربت منها بعض التجمعات الدينية، فإنها مازالت تطبقها على المستوى الفردي لا المستوى الجمعي والمؤسّسي، أي أنها لا تضعها في قالب المؤسسة ولخدمة المؤسسة، ولا تجد لها نظاماً يربط بينها لتشكل خلية تكاملية، لتصبح كل قيمة فيها تدعم الأخرى، ولذلك فإن هذه القيم تفقد بريقها وتفقد تأثيرها في الواقع بالشكل المطلوب ويبقى تأثيرها محدوداً وضيّقاً، فكأننا قمنا بإنشاء هياكل مؤسّسية تحركها الروح والفكرة الفردية، وهذا إنما يقتل الفاعلية لهذه المؤسسة.

ومن أجل تحقيق النجاح في مشاريع المؤسسة الدينية بشكل عام، سواء كانت ذات مهام ثقافية أو اجتماعية أو خيرية ، ينبغي أن يعاد النظر في طريقة سير هذه المؤسسات من الناحية الإدارية، و معرفة مدى إحكامها وتفعيلها لقيم الدين في القالب المؤسسي، وإلا فنحن أمام خطر السقوط أو الفشل في تحقيق أي منجزات حقيقية على أرض الواقع.

هنالك خطوات جديرة بالاهتمام، منها أن تقوم المؤسسة الدينية بإعداد الكادر الإداري وفقاً للمتطلبات الجديدة التي فرضها واقع المؤسسة، عبر وقفة تعيد تركيب القيم الدينية من جديد في قالب المؤسسة، و لا ضير في أن تتوقف هذه الكيانات عن العمل لفترة من الزمن، على ان تعاود نشاطها بعد أن أجرت عملية تنمية الكفاءات الإدارية وإعداد النظام الإداري المتماسك الذي يضمن الفاعلية في الأداء والإستمرارية في العمل كما هي الخصائص الأساسية لفكرة المؤسسة.

لأن من الأسباب التي أدّت إلى هذه النتيجة الحالية هي المبادرة في تأسيس كيانات دينية على أساس مشروع فردي وليس جماعي، و مباشرة العمل فيها بذات النهج و بنفس الطاقات القديمة، فصارت المؤسسة الدينية مجرد ملتقى لمجموعة من الكفاءات، يزداد نشاطها عندما يزداد عدد الفكاءات المنتمية لها، ويقل النشاط بقلّتها.

ونحدّد هنا؛ نقاط عملية يمكن أن تساهم في هذا التحوّل هي كالتالي:

١- صياغة نظام إداري فاعل يجمع الكفاءات، و يربط بينها بالنظم الإدارية المعروفة (التخطيط، التنظيم، التوظيف، التوجيه والرقابة والمحاسبة).

٢- تأهيل الكفاءات إدارياً لكافة العاملين، فجميع العاملين بمختلف تخصصاتهم بحاجة إلى مهارات إدارية لخدمة المنحى الذي يسيرون فيه. وهذا يتم من خلال دورات تخصصية تعليمية وتأهيلية تزيد من الكفاءة والمهارة في العمل ضمن قواعد علمية.

٣- التخصّص وفقاً لمتطلبات العمل من جميع النواحي الإدارية البحتة، و المالية وغيرها، وعدم الإكتفاء بالكفاءات الفكرية والعلمية في المجال الديني.

٤- دراسة نواقص المؤسسة، وفقاً للمطالبات الجديدة لها كمؤسسة، لا كنشاط فردي، والعمل على معالجتها جذرياً، وليس بطريقة الطوارئ.

ولذلك فإن من المقترح على أغلب المؤسسات الدينية أن تأخذ استراحة عمل، ومعالجة كافة الفجوات بشكل جدّي، لكي يكون الإنطلاق للعمل بصورة أفضل وأكثر جدوائية ليؤتي ثماره لنطاق أوسع و للمحافظة عى استدامته ونمائه.

الأنبار .. طريق الى الحرب أم البناء؟

* حسين محمد علي

كل أمة أو شعب ناهض يعيش أزمات ومشاكل، ويريد الحل بما يضمن حقوقه ويحقق طموحاته وتطلعاته، لابد أن يبحث عن الأسباب أولاً؛ قبل التفكير في الحلول والمكاسب، لأن في هذه الحالة سيكون في دوامة الأزمة، فهو يعيش أزمة حقوق، ثم يخوض أزمة الحصول على هذه الحقوق في الوقت نفسه.

بمعنى انه سيعيش دوامة العنف في داخله ومع الجهات الرسمية والحكومية خارج محيطه.

فالعراق اليوم يعيش أزمة جديدة وعلى درجة كبيرة من الخطورة، تتداخل فيها أبعاد اجتماعية وسياسية وحتى تاريخية، وهي من سلسلة أزمات تعصف بالعراق منذ تاريخ (٩-٤-٢٠٠٣). هي حرب شوارع بين جماعات ارهابية يتشكل عمودها الفقري من تنظيم ما يعرف بـ «داعش» وارهابيين محترفي القتل والذبح قادمين من خارج العراق، وبين جماعات أخرى تقودها العشائر العراقية تساندها الحكومة بالمال والسلاح، بهدف إعادة السيطرة على مدن محافظة الانبار. بيد أن خلفية هذه الحرب تستبطن أسباب وعوامل نشوء هذه الحرب، هي بالحقيقة تنسحب على عديد الازمات والمشاكل الموجودة في العراق:

العامل الأول: النظرة الطائفية

عندما يتحدث الساسة بشكل خاص عن «الوطن» كمفردة ومفهوم، يعنون به الأرض الواحدة التي تحمل على ترابها جماهير الشعب، بغض النظر عن تنوعهم الإثني (القومي او الطائفي او العرقي)، وتوجهاتهم الفكرية والثقافية. بمعنى أن التقسيمات الادارية في العراق على شكل محافظات، كما هو الحال في جميع انحاء العالم، لا يفصل الناس بعضهم عن بعض، إنما المقصود الحدود الادارية التي تنظم عمل كل محافظة حسب حاجات المجتمع فيها. وإذن؛ فكربلاء المقدسة، ليست للكربلائيين، كما ان الانبار ليست للانباريين، وهكذا سائر المحافظات. بينما السائد في العراق، وبعد التاريخ المذكور، هو وجود ثلاث «كانتونات» مقسمة بشكل غير معلن وغير مكتوب، اجتماعياً وحتى سياسياً، فاضافة الى «اقليم كردستان» ويضم ثلاث محافظات، فان المناطق ذات الاغلبية السنّية هي الاخرى تشكل كانتوناً يضم محافظات الانبار والموصل وصلاح الدين. فلا نجد عراقياً يتجول في غير مدينته وخارج محيط انتمائه. وهذا الذي مهّد وأسس لما بات يعرف بـ«المحاصصة السياسية»، فلو لم يكن التمهيد الثقافي والاجتماعي وحتى النفسي لظاهرة التمييز الطائفي، لما كان باستطاعة السياسيين ان يثبتوا هذه الوصمة على العراق.

العامل الثاني: جدلية الأمن والحرية

عندما سقط نظام صدام، وزالت الديكتاتورية الحزبية وشبح الرعب والارهاب والكبت، برزت هنالك ارادتان داخل الشعب العراقي؛ الاولى للضحايا ممثلين بالشيعة والاكراد، الذين استبشروا بالحرية، والارادة الثانية كانت للموالين - الى حد ما- الى النظام البائد، ممثلين بالطائفة السنية، حيث طالبوا بالأمن والسلام، وهذا ما حصل وتحقق للأثنين، ولم يشهد العراق، في الايام الاولى من سقوط صدام، وحتى مرور حوالي عامين، أي حالات انتقام بين الجانبين، أو مناوشات او اشتباكات مسلحة كالتي تشهدها الكثير من بلاد العالم. وهذه نقطة مضيئة تحسب للشعب العراقي،

> الحل الموضعي والترقيعي لن يزيد البلد إلا أزمات متتالية قابلة للانفجار، فبدلاً من ان يكون المستقبل لاندلاع هكذا أزمات ، ليكن واعداً بالمشاريع التنموية والانسانية التي تنتزع فتيل الازمات الى الابد

لما يحمله من تماسك وأصالة في هويته وحضارته التي تجعله محصناً من التمزق والاقتتال الأهلي. لكن المشكلة وقعت حين فقد الجانبان أو الشريحتان الاجتماعيتان الحرية والأمن، اللتان تمثلان لازمة أكيدة للتطور والنمو والبدء بحياة جديدة واعدة. كما لو أن هنالك أطرافاً ذات مصالح خبيثة في العراق، لا تريد الأمن والحرية معاً لكل العراقيين، سنّة وشيعة وأكراداً.. وعندما حصلت التجزئة في الحقوق، حصلت التجزئة على الخارطة ايضاً، فشهدنا كيف أن هذا يحرُم ذاك، نعمة الحرية ويحوله الى أسير للماضي المقيت، وذاك يحرُم هذا نعمة الأمان والاستقرار.

العامل الثالث: فقدان مشاريع التنمية

هذا العامل يتأثر بالعاملين الآنفين، لكن في كل الاحوال، فان العراق يمتلك مؤهلات النمو والتطور والتقدم، وهذا ليس كلاماً للمجاملة والإطراء، إنما هي حقيقة يقرها باحثون في شؤون الاقتصاد والتنمية، فالعراق يمتلك ثروات هائلة الى جانب قدرات انسانية كبيرة، حيث العقول المبدعة المعروفة في المنطقة، والنسبة الجيدة من الشباب المتدفق حيوية بين تعداد سكانه، هذا الى جانب نعمة المياه والاراضي الخصبة على مساحة واسعة. وتجاهل كل هذه الفرص الذهبية وبقاء العراق مع مرور عشر سنوات كاملة، يعيش ويأكل من المنتوجات المستوردة، وما يستتبع ذلك من انتشار حالة البطالة والتضخم والتخلف، من شأنه زيادة حالة الانهزامية وعدم الثقة بالنفس، واستفحال العقد النفسية والشعور بالضياع واللاهدفية في الحياة. وهذه وغيرها، تذكي نار العنف والاضطرابات السياسية والاجتماعية.

وعندما نتحدث عن تغيير جذري وشامل في الابعاد كافة في بؤرة الأزمة الراهنة في العراق، علينا الالتفات الى فرص النمو الكبيرة الموجود في باطن الأرض المتأزمة حالياً، حيث تمتلك محافظة الانبار ثروات طبيعية غنية، فحسب المدير العام لشركة المسح الجيولوجي «خلدون البصام» فان الانبار تعد من إغنى مناطق العراق في مجال الثروة المعدنية اللافلزية، وفي مقدمتها، الفوسفات و الكبريت، بل هنالك حديث من خبراء على وجود كميات من الذهب الخام في باطن الصحراء الانبارية.

فبعد كل هذا، هل بالامكان توقع حل عسكري لهذه الأزمة؟

لو نظرنا الى تجارب شعوب تعيش ضمن بلد واحد، وهي تتنوع الى عديد الطوائف والأعراق والمذاهب، مثل الهند التي تضم عدداً كبيراً من الديانات والمذاهب، وهنالك اتباع ومؤمنون، وربما تكون بعض هذه المذاهب مثيرة للاستغراب وحتى الاستهجان، لكن الجميع يحظون بالاعتراف من الآخر، فلا أحد يتجاوز على حقوق وعقائد أحد، وهذا ما يسمى بـ «التعايش السلمي». وهذا تحديداً ما يحتاجه العراق بأسره قبل أي شيء آخر، لان الحل الموضعي والترقيعي لن يزيد البلد إلا أزمات متتالية قابلة للانفجار، فبدلاً من ان يكون المستقبل لاندلاع هكذا أزمات ، ليكن واعداً بالمشاريع التنموية والانسانية التي تنتزع فتيل الازمات الى الابد.

فاضافة الى المشاريع الاقتصادية التي كثر الحديث عنها والمطالبة بها، هنالك مشاريع ذات طابع ثقافي وانساني، من شأنه ان يغير مسيرة حياة سكان الانبار وسائر المحافظات العراقية. هذه المشاريع ينبغي أن تنطلق من الحوزات العلمية وتحديداً من علماء الدين والخطباء والفضلاء. ولعل تحريك عجلة التأليف والنشر والمطالعة، من الطرق المختصرة للوصول بالشعب العراقي الى بر الأمان. وحتى لا نجانب الواقع، هنالك فعاليات ونشاطات في الساحة، لكن نحتاج الى المزيد مثل معارض كتب في اكثر من مدينة، والتشجيع على نشر وتبادل المؤلفات والاصدارات وفتح مكتبات عامة لتبادل المعرفة والثقافة. اضافة الى فعاليات اجتماعية ودينية وثقافية، لاسيما في مناسبات بهيجة، مثل المولد النبوي الشريف والاعياد الاسلامية وغيرها، ما من شأنه ان يبعث الروح الأخوية ويعزز الشعور بالثقة والاطمئنان لدى الجميع.

وللحقيقة نقول: أن أزيز الرصاص ودخان القنابل هو الذي يحجب اليوم عن الكثير من العراقيين، رؤية آفاق المستقبل، فكل شيء بالقتال والصراع والثأر.. كما لو أن العراق يفتقد للإرث الحضاري العظيم الذي تركه النبي الأكرم وأهل بيته، عليهم السلام. ويفتقد قيم واهداف النهضة الحسينية. نعم؛ لابد من الحزم والقوة لتحكيم القانون وتعزيز الأمن والسلم الأهلي، وفي المقولة المعروفة حكمة: «من أمن العقاب أساء التصرف». بيد أن هذه اللغة يجب أن تكون في حدودها المعينة واهدافها الواضحة، ولمن توجه..؟ بينما تأخذ لغة المنطق والحوار والسلم، مكانها الأوسع في الساحة. وهذا لن يتحقق إلا بتضافر الجهود واجتماع العقول الحكيمة من الجانبين، ليس على أساس غالب ومغلوب، إنما على أساس «العدل» و «الإنصاف» وهذا ما لا يختلف عليه أحد مهما كان. ومن خلاله تظهر النوايا الحسنة والجادّة في البناء والإعمار وإصلاح كل فاسد ومفسد في هذا البلد .

> لغة المنطق والحوار والسلم، تحقق نجاحها بتظافر الجهود واجتماع العقول الحكيمة من الجانبين، ليس على أساس غالب ومغلوب، إنما على أساس «العدل» و «الإنصاف»

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

سورة العصر

هذه الأسئلة طرحناها، فوجدنا إجابتها في موسوعة تفسير «من هدى القرآن» لسماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرّسي «دام ظله الشريف» وتعميماً للفائدة ننشر، في كل عدد، مجموعة من الأسئلة مع أجوبتها المستوحاة من الموسوعة المذكورة مباشرة

* إعداد: السيد جواد الرضوي

- أين نزلت سورة العصر المباركة؟ و متى؟ و كم هو عدد آياتها؟ و ما هو ترتيبها النزولي، و ترتيبها في القرآن الكريم؟

نزلت سورة العصر المباركة في مكة المكرمة بعد سورة الانشراح المباركة؛ عدد آياتها (٣). ترتيبها النزولي (١٢)، و ترتيبها في القرآن الكريم (١٠٣).

* فضل السورة

- ما فضل هذه السورة المباركة؟

• فضل هذه السورة المباركة كثير؛ فقد ورد عن أبي عبد الله الصادق، عليه السلام، انه قال:

"من قرأ" ﴿و العصر﴾ في نوافله، بعثه الله يوم القيامة مشرقا وجهه، ضاحكا سنه، قريرا عينه، حتى يدخل الجنة ".[1]

* الاطار العام

- ما هو الاطار العام لهذه السورة المباركة؟

• لكي يتبصر الانسان واقع الزمن، و كيف يهدم عمره لحظة بلحظة؛ ثم لكي يعرف بماذا يقاوم خسرانه، جاءت سورة العصر المباركة عصارة لبصائر الذكر في هذا الموضوع الأساسي، الذي لو وعاه الانسان، وعى حقيقة عمره، و حقائق العالم المحيط به.

قَسَماً بالزمن، انك [- أيها الانسان -] لولا الايمان في خسران، و كل لحظة لا ايمان فيها ولا عمل صالح [فيها] جزء ضائع من كيانك؛ و لكن الانسان في غفلة عن هذا العدو الخطير؛ بيد ان المؤمنين يذكر بعضهم بعضاً، و يوصي بعضهم بعضا.

* عصر الرسالة و العدالة

- استهلّت السورة المباركة بالقَسَم بالعصر في قوله تعالى: ﴿و العصر﴾؛ فما المراد بالعصر؛ هل هو الفترة المسائية؛ مثلاً؟

• يزعم الانسان انه كلما طال عمره، كبر و زاد؛ بينما الحقيقة عكس ذلك تماماً؛ فكلما مضى من عمره شطر، اقترب منه أجله، و تناقص رأسمال حياته، و نقص ما تبقى منه؛ فزيادة المرء - إذاً - في دنياه نقصان، و هو كبائع الثلج في يوم قائض يفقد رأسماله كل لحظة. هكذا يحلف القرآن بالعصر و يقول: ﴿و العصر﴾.

> لو عرف الانسان انه في خُسر، لأصلح نفسه، و لما ضيّع من عمره شيئاً

> العمل الصالح يحوّل الخسارة في الانسان فلاحاً و أملاً

وحول المراد بالعصر؛ فقد قال ابن عباس: أنه قسم بالدهر، و يبدو لي - و الكلام للمرجع المدرسي، دام ظله - ان أقرب العصور هو عصر أنت فيه، و أشرفها عصر الرسالة حيث انبعث النبي، صلى الله عليه و آله، به، و عصر العدالة حين يقوم الامام الحجة القائم، عجل الله تعالى فرجه الشريف، به.

و قال بعضهم: انما سُمي الزمن بالعصر، لانه يعتصر الانسان كما يعصر المرء غسيله، و ان القَسَم بالدهر انما كان بلحاظ عصره للانسان. و أنى كان؛ فان الحلف به يتناسب و الموضوع التالي: أي خسارة الانسان لعمره، أوليس الزمن هو سبب الخسارة؟

* معنى الخسران

- في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾، و هو جواب القَسَم، كيف نفهم معنى خسران الانسان؟

• لو عرف الانسان كيف تتبدل خلايا جسده، و كيف يستهلك كل يوم الآف الخلايا من مخه دون ان يستعيض عنها شيئا، و كيف تتسارع ما حوله من أشياء في سبيل الفناء، حتى البيت الذي يسكنه يستهلك بسرعة لا يتصورها؛ و لو عرف الانسان ان عمره - بالقياس الى عمر الارض التي يعيش اليوم عليها ثم ينام في رحمها - يكاد لا يكون شيئا مذكورا، و انه أقصر من نسيم يهب عليه في يوم قائض، و أسرع من سحابة في يوم عاصف؛ بل انه كالبرق الخاطف، او كخيال عابر؛ و لو عرف ان كل لحظة من عمره، تُعد مسؤولية كبيرة، فإما هي خطوة الى الجنة أو سقطة في النار؛ لو عرف ذلك كله لأصلح نفسه، ولما ضيع نفسه، ولما ضيع من عمره شيئا؛ لانه في خسارة لولا الايمان. والخسر يحيط بالانسان كما تحيط بالانسان الدار، و أية خسارة أعظم من ان يفقد كل يوم جزءاً من عمره و جزءاً من رأسماله، من ثم جزءاً من ذاته. أليست ذاته ممتدة على أيام حياته، فاذا مضى يوم فقد انقضى بعض ذاته ؟ يقول الامام علي، عليه السلام:

"من كانت مطيته الليل و النهار، يُسار به و ان كان واقفا" (٢)

* سلاح العمل الصالح

- استثنى قوله تعالى: ﴿الَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ، المؤمنين و العاملين للصالحات، كيف تم استثناء هاتين الفئتين من الخسران العام للانسان؟

• حينما يعي المؤمن هذه الحقيقة التي ذكرناها، يبادر بالعمل الصالح حتى يستوعب كل لحظة و كل لمحة و كل سعرة حياتية من حياته بما يحول الخسارة فلاحاً و أملا؛ فان أتعبه الكفاح من أجل العيش، استراح الى الصلاة ليتزود منها الحيوية.. وإذا أرهق عضلاتَهُ الجُهدُ البدَني، اشغل لسانه بالشكر، و قلبه بالفكر، و نفسه بالحب و الشوق الى لقاء ربه. و قد ترى أعضاءه غارقة في جهد بدني يفلح الارض، أو يسعى على مناكبها طلباً للرزق، أو يسخِّر ما فيها لتوفير العيش و في ذات الوقت تجد قلبه في ذكر الله و التدبر في آياته، و لسانه يلهج بحب الله.

إن الانسان متعدد الأبعاد، واسع النشاط، عريض الطموح، سامي الهمة؛ لأنه قد وعى حقيقة الزمن، و تزود بسلاح تحديه عبر العمل الصالح.

* التواصي.. و التواصي

- الدعوة إلى التواصي واضحة في قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، فهل هذه الدعوة من باب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر؟

• إن تيار الزمن، و شهوات النفس، و عادات المجتمع تضغط على المؤمنين باتجاه الغفلة و الكسل، فكيف يعالجون هذه الظاهرة؟ انما بتكوين بيئة رشيدة تحيط بهم، و لا تدعهم يخلدون الى الراحة و الكسل. أوتدري كيف؟ بتطبيق التواصي.

ان الكبير يوصي الصغير، و الصغير - بدوره - يوصي الكبير، و العالم يوصي الجاهل و الجاهل - ايضا - يوصي العالم.. و هذا المبدأ يتسع لفريضة "الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر"، كما يتسع لواجب الدعوة الى الله، و تبليغ رسالاته، و إرشاد الجاهل.. و يتسع للمزيد.

ذلك ان التواصي: ومضة روح، و إشراقة أمل، و عتاب لطيف؛ إنه يصنع جواً ايمانياً يساعدك على ممارسة واجباتك.. أنه يوجه حس التوافق الاجتماعي في الإتجاه الصحيح.

* إرشاد العلماء

- في الآية المباركة، لماذا جاءت التوصية بالحق قبل التوصية بالصبر؟

• ان معرفة الحق بحاجة الى مساعدة الصالحين؛ فهم يرشدونك اليه، و يرفعون الغموض الذي تسببه دعايات الضالين. وإذا تناقضت المذاهب، و اختلفت الآراء، و تشابهت عليك الأفكار، هناك لابد من إرشاد العلماء الصالحين و المؤمنين الواعين و تواصيهم بالحق. فإذا عرفت الحق، كان الوقوف الى جانبه و الدفاع عنه و الاستقامة عليه بحاجة الى صبر عظيم، يتواصى به المؤمنون حتى لا ينهار بعضهم أمام شدائد الزمن.

---

(١) تفسير نور الثقلين، ج٥، ص٦٦٦.

(٢) نهج البلاغة، الكلمة ٣١، ص٤٠٠.

التدبّر الموضوعي .. أصالة في فهم الدين والحياة

السيد سجاد المدرسي
@sajadmodarresi

إن دراسة آيات الكتاب الكريم، تتم عبر طريقتين أساسيتين:

– الاولى : التدبّر الموضعي.

ويكون في السورة القرآنية بدءاً من أولها واستمراراً مع السياق الوارد فيها حتى انتهاء السورة. ويسمى هذا النوع من التدبر عند علماء المنهج بالتدبر الـ «سياقي – الموضعي»، ويمتاز هذا النوع من التدبر باستكشاف العلاقات الخفيّة بين المواضيع المبحوثة في الآيات الكريمة.

ذلك أن الآيات الواردة في السورة الواحدة تروم معالجة مشكلة ما، ويتم هذا العلاج عبر مجموعة من الحلول المختلفة التي قد لا تبدو انها مترابطة في الوهلة الاولى، ولكن اكتشاف العلاقات بين الآيات من خلال معرفة هدف السورة وسياقها يزيل هذا الاشكال.

– مثال على ذلك:

قد يجد تالي القرآن الكريم، صعوبة في فهم العلاقة بين إنزال عقوبة الجلد على الزاني والزانية في سورة النور، وبين الحديث عن الرجال الذين لا تلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكر الله سبحانه.

وبمعرفة هدف السورة، الذي يتمثل ببناء البيت الإيماني، يتيسر فهم تلك العلاقة، حيث ان سبيل بناء ذلك البيت يقتضي القيام باجراءات صارمة لكل ما يهدد هذا الكيان، بدءاً من الزنا والقذف ومروراً بالإفك و نزعة إشاعة الفحشاء في المجتمع، و انتهاءً بالنظر الى الاجانب بريبة، او ابداء الزينة لغير الاقارب وغير ذلك. هذا مضافاً الى القيام ببناء ذلك البيت الرفيع عبر بيان ما يقوّمه من قيم وخلقيات وسلوكيات.

– الثانية: التدبر الموضوعي

تتم هذه الطريقة عبر دراسة موضوع محدد في حقل من الحقول المختلفة عبر الآيات الشريفة، ويهدف المتدبر من ذلك استظهار الرؤية القرآنية الكاملة تجاه هذا الموضوع، ذلك أن القرآن الكريم يبحث جانباً من كل موضوع حسب الحاجة اليه في سياق الآيات التي تعالج قضية ما، في حين يبحث الجوانب الاخرى منه في آيات أخرى، وجميع هذه البحوث يشكل الصورة الكاملة للموضوع برؤية قرآنية، ومن هنا فان المفسر او «المتدبر» في هذا النمط من انماط التفسير سوف لا يلتزم بالسياق القرآني للسورة الكريمة او الترتيب الوارد في القرآن الكريم للسور المباركة، بل سيكون جهده منصباً بدراسة الموضوع أنّى كان.

وهناك تعاريف مختلفة لهذا النمط من التفسير، تصب اكثرها في المعنى المذكور، مثلاً يقول صاحب كتاب «التفسير الموضوعي التأصيل والتمثيل»:

«هو عملية منهجية تتجه الآيات القرآنية، من حيث موضوعها، لا موضعها، بغية الكشف عن الموضوعات التي عرض لها القرآن الكريم،

> حوى القرآن على آيات محكمات هنّ أمّ الكتاب، واضحات، باهرات، وفي المقابل احتوى القرآن الكريم على آيات أخر، كانت متشابهة في معناها على من جهلها، وقد أمر الله سبحانه برد المتشابه من الآيات الى محكمها لكيلا يلتبس الأمر على الانسان

وتصنيفها تحت ما يناسبها من مجالات، وافرادها في كتابات تبرز ما فيها من دلالات وهدايات".

* تاريخ التدبّر الموضوعي

ان معظم التفاسير التي اتخذت القرآن الكريم منطلقاً لفهم الحياة والدين، التزمت النمط الاول من أنماط التفسير او «التدبر» حيث كانت تدرس الآية حسب سياقها الوارد في المصحف الشريف، ولم يعهد المسلمون تفسيراً موضوعياً للقرآن الكريم، ولذلك فقد يتصور انه نمطٌ مستحدث ليس له أصلٌ او جذر.

ومن هنا فلابد لنا ان نذكر المراحل التي مرّت به هذا النمط من أنماط التدبر في القرآن الكريم.

أولاً: المحكم والمتشابه

لقد حوى كتاب ربنا على آيات محكمات هنّ أمّ الكتاب، واضحات، باهرات، ظاهرات، وفي المقابل احتوى القرآن الكريم على آيات أخر، كانت متشابهة في معناها على من جهلها، وقد أمر الله سبحانه برد المتشابه من الآيات الى محكمها لكيلا يلتبس الأمر على الانسان.

ان عملية رد المتشابه الى المحكم هي بمنزلة عمل موضوعي، اذ لا يلتزم المتدبر سياق الآيات، انما يعتمد على عموم القرآن الكريم لرفع تشابه الآية الكريمة.

ثانياً: الدعوة القرآنية

لقد دعا القرآن الكريم في غير موضع، بالرجوع الى آيات أُخر من سور أخرى، بغية فهم المراد من الآية الكريمة، وانكشاف الحكم بشكل تام، فمثلاً قال الله سبحانه: ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهيمَةُ الْأَنْعامِ إِلاَّ ما يُتْلى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَ أَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ ما يُريدُ﴾ (سورة المائدة /١).

فعبارة ﴿إلا ما يتلى عليكم﴾ تلفّها الغموض، لو تركت وشأنها، فأنّى لتالي القرآن ان يعرف ما حرّم عليه عبر هذه الكلمة.

لذا فان العبارة هذه تدعو القارئ لان يرجع الى آيات أخرى ذكر فيها ﴿ما يتلى عليه﴾ من المحرمات، وهذه الآيات هي التالية:

﴿قُلْ لا أَجِدُ في ما أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلى طاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنْزيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ باغٍ وَ لا عادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحيمٌ﴾ (سورة الانعام /١٤٥).

﴿إِنَّما حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَ الدَّمَ وَ لَحْمَ الْخِنْزيرِ وَ ما أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ باغٍ وَ لا عادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحيمٌ﴾ (سورة البقرة /١٧٣).

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَ الدَّمُ وَ لَحْمُ الْخِنْزيرِ وَ ما أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَ الْمُنْخَنِقَةُ وَ الْمَوْقُوذَةُ وَ الْمُتَرَدِّيَةُ وَ النَّطيحَةُ وَ ما أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ ما ذَكَّيْتُمْ وَ ما ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَ أَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلامِ ذلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذينَ كَفَرُوا مِنْ دينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَ اخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتي وَ رَضيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ ديناً فَمَنِ اضْطُرَّ في مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحيمٌ﴾ (سورة المائدة /٣).

ثالثاً: القرآن والقيام بالعرض الموضوعي

قد يجد المتدبر في القرآن أن مجموعة من الآيات او سورة كاملة، تتحدث عن موضوع واحد، مثل سورة الواقعة، حيث تمحور حديثها حول تقسيم الناس الى ثلاثة اقسام: ﴿وكنتم ازواجاً ثلاثة * فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة * واصحاب المشئمة ما اصحاب المشئمة * والسابقون السابقون * اولئك المقربون﴾.

رابعاً: اهل البيت عليهم السلام، و الإستلهام من القرآن

لقد زخرت النصوص الشريفة عن العترة الطاهرة، بوصايا وحقائق مستلهمة من القرآن الكريم، حيث تذكر الحكمة او الوصية، ثم تذيّل بآية من آيات الكتاب الكريم الذي يعد معيناً لهذه النصوص المباركة، فمثلاً نجد في وصية النبي، صلى الله عليه وآله، لابن مسعود قوله: «يَا ابْنَ مَسْعُودٍ لَا تَتَكَلَّمْ بِالْعِلْمِ إِلَّا بِشَيْءٍ سَمِعْتَهُ وَ رَأَيْتَهُ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ ﴿وَ لا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤادَ كُلُّ أُولئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا﴾، وَ قَالَ ﴿سَتُكْتَبُ شَهادَتُهُمْ وَ يُسْئَلُونَ﴾ وَ قَالَ ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيانِ عَنِ الْيَمينِ وَ عَنِ الشِّمالِ قَعيدٌ ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقيبٌ عَتيدٌ﴾ وَ قَالَ ﴿وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾»[1].

وهكذا فعل امير المؤمنين عليه السلام، حيث قسّم الكفر الى خمسة اقسام حسبما ورد في القرآن الكريم، فقال عليه السلام:

«وَ أَمَّا الْكُفْرُ الْمَذْكُورُ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى فَخَمْسَةُ وُجُوهٍ مِنْهَا كُفْرُ الْجُحُودِ وَ مِنْهَا كُفْرٌ فَقَطْ وَ الْجُحُودُ يَنْقَسِمُ عَلَى وَجْهَيْنِ وَ مِنْهَا كُفْرُ التَّرْكِ لِمَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ وَ مِنْهَا كُفْرُ الْبَرَاءَةِ وَ مِنْهَا كُفْرُ النِّعَمِ...».

خامساً: استلهام العلماء

اعتمد العلماء الطريقة «الموضوعية» في نصوص الروايات، حيث قسموها حسب مواضيعها، وخصوصاً النصوص التي وردت في المسائل الفقهية، بجعل النصوص حسب ابوابها الفقهية، وهكذا قاموا، بتقسيم الآيات حسب مواضيعها، فقام الفقهاء بدراسة آيات الاحكام، كما قام علماء العقيدة بدراسة الآيات التي تخص الاصول العقدية.

وبعد هذه المرحلة بدأ هذا النمط بالنضوج وانتشرت التطبيقات العملية، فازدادت التأليفات في هذا الجانب، رغم قلة التأليفات في الجانب التنظيري لهذا النمط من أنماط دراسة الكتاب الكريم، ويمكننا ان نشير الى موسوعتي «بحار الانوار» للعلامة المجلسي، و «التشريع الاسلامي» للمرجع المدرسي، كتطبيقات عملية لعملية التدبر الموضوعي في القرآن الكريم، فرغم ان الاول هو موسوعة روائية، إلا ان العلامة المجلسي قد جعل في بداية كل باب من ابواب كتابه مجموعة من الآيات القرآنية المرتبطة بالموضوع، اما الموسوعة الثانية فقد خصصت سبعة اجزاء منه، للتدبر الموضوعي في القرآن الكريم حول قيم الهدى والايمان والعلم.

١- مكارم الأخلاق - ص ٤٥٥

> اعتمد العلماء الطريقة "الموضوعية" في نصوص الروايات، حيث قسموها حسب مواضيعها، وخصوصاً النصوص التي وردت في المسائل الفقهية

سُبل قرآنية لمعرفة الإنسان ربه

* زكي الناصر

ليس الله تعالى، في تذكرة القرآن وتوجيهه، وجوداً ولا موجوداً، وانما هو حق قيوم، فالوجود رغم انه اسم مقدس من أسماء الله الحسنى، و رغم انه نور يظهر حقائق الكون، ورغم انه يختلف عن الموجودات، رغم ذلك كله، فهو ليس بإله.

ولا الله سبحانه بوجود، انما الوجود خلق من خلقه، يتصرف فيه كيفما يشاء يعطيه لشيء فينقلب ظاهرا مخلوقاً.

إن اقرب الوسائل لمعرفة ان الوجود مخلوق، انما هو التصرف فيه وإعطاؤه مرة لشيء ثم سحبه منه، فهو إذن؛ حقيقة يديرها مالكها الله القدير، والموجودات ليست بإله هي الأخرى، بل النجم والشجر يسجدان لله، والشمس والقمر يجريان بتدبير الله والارض خاشعة بأمره، وأبسط الادلة على ذلك أن معالم الضعف بارزة في الاشياء، ولا ولن تكون هي الله القدير سبحانه.

* الفلسفة.. مشكلة وليست حل

ان المبدأ الفلسفي الذي يقسم الوجود الى ممكن وواجب، ويتصور أن القسم الاول هو الخليقة، والقسم الثاني هو الخالق، مرفوض في القرآن الكريم، إذ ان الله ليس بوجود ولا الخليقة بوجود، إنما الوجود نور مملوك لله وموهوب للخليقة، فكيف يمكن ان يشترك الخلق مع الله في قائمة واحدة نسميها الوجود، بينما هي ثلاث قوائم: الله، الوجود، الخلق؟!

فالمبدأ الصوفي الذي يزعم أن الله هو ذات الموجودات، وكذلك المبدأ المادي الذي يحسب الخلائق هي ذات السيطرة الذاتية على نفسها، فهي الرب ولا إله سواها، إن هذين المبدأين مرفوضان أيضاً، ذلك أن الله أسمى من مخلوقاته، وأجل وأعلى من ملكوته، فهو خلو من خلقه، وخلقه خلو منه، وبينه وبين خلقه تباين من الصفات ولا اشتراك إلا في الألفاظ التي لم توضع الا في حدود إمكانيات الخلق انفسهم.

إن الحد الفاصل بين الله وبين الخلق التباين المطلق بينهما، فكلما يجوز في الخلق يستحيل في الخالق وهكذا العكس.

وبهذا التباين نكشف أننا لا نقدر على تحديد الله ولا على اكتشاف صفاته، لأننا نعيش في مناخ المخلوقين ولا نعهد صفة إلا بقدر ما هي ظاهرة في مخلوق ما، فصفة القدرة مثلاً نعرفها في الإنسان وفي التيار وفي العاصفة والكهرباء والذرة، صحيح أنها صفة قدرة إلا أنها مثبتة حسب معرفتنا في المخلوق، فلا يمكننا . بطبيعة التباين بين الخلق والخالق . قياسها على الله، وهكذا صفة العلم والملك وغيرها.

ولكننا مع ذلك نستطيع أن نعرف ثبوت ما هو أسمى من صفات القدرة والعلم والملك المتوافرة في المخلوقات بثبوت ماهو أسمى منها وأكبر في الخالق الذي غرز في خلقه هذه الصفات المثلى، وقد نسمي ذلك الامر الاسمى والاكبر من صفات المخلوقين بـ «القدرة اللامحدودة» و «العلم التام» و «الملك الدائم»، إلا أنها لا تعني بهذه التسمية ايجاد علاقة بين قدرة الخلق وقدرة الخالق حتى تكونا سواء، أو بين علم الخلق وعلم الخالق، أو مشيئة الخلق ومشيئة الخالق، وهكذا.. إذ لا علاقة بينهما إلا علاقة المقابلة الشديدة الانعكاس، بل انما نريد

> لو وجدنا - مثلاً - وردة بديعة المنظر زاكية العرف، قلنا: «سبحان الله اللطيف»، أو ليس يتصف باللطف ودقة الصنع! أما لو لاحظنا الاهداف العديدة التي صنعت من اجلها الوردة من تنظيف الجو و إشاعة العبق لاهتدينا الى حكمة بارئها

بهذه التسمية ايجاد علاقة بين لفظ ولفظ، حتى نعرف اشارة ما الى ذلك الأمر الأسمى الثابت للخالق.

من هنا كان اثبات أية صفة لله لا يعدو أن يكون اشارة في أطار الفهم الذي نملكه الى صفاته وأسمائه دون أن يكون تحديداً لله أو جعله في اطار المخلوقين وسحب صفاتهم عليه سبحانه.

* التسبيح يجعلنا أمام الله تعالى

وأفضل صفة نطلقها على الله هي صفة محورية، تدور بين النفي والاثبات، النفي لقطع أية صلة تشابه بينه وبين خلقه، والاثبات للايمان بأنه أسمى من خلقه و أكبر، فهو القادر غير مقدور، والمالك غير مملوك، والعليم ولا معلوم، ولترسيخ هاتين الحقيقتين؛ حقيقة ثبوت الله وصفاته المثلى من جهة، ونفي الصفات المعروفة في المخلوقين عنه، لترسيخ ذلك في نفوس البشر التي تعودت على معرفة الخلق، كان لابد من التقديس والتسبيح والتنزية بكلمة «سبحان الله»، التي كثرت في القرآن و عُدت ركيزة الاذكار في الصلاة.

إن التسبيح يجعلنا فجأة أمام الله، فهو ينفي عن أذهاننا المخلوقين فيظهر الخالق، ولأنه من جهة ثانية يحل عقدة مستعصية من نفس البشر، وهي العادة على تحديد الاشياء، لأن النفس البشرية مخلوقة، فمن طبيعتها التحديد، فعندما تقف أمام الله وتعجز عن التحديد، تتورط في الشبهات العقيمة وتريد أن تخضع الله لمقاييس الخلق فتضل ضلالاً بعيداً، وهنا تأتي كلمة «سبحان الله»، لتنقذ البشر مرة واحدة من ورطته الكبيرة، وتقول له: إنك أمام خالق المخلوقات حيث تعجز الالفاظ وتنهار الحدود وتنحسر المعارف البشرية الساذجة.

من هنا لا نجد صفة عجز او ذل او صغار في المخلوق إلا وتهدينا الفطرة الى تعالي الله عنها علواً كبيراً، ولا نرى فعلاً محدوداً منظماً بتدبير حكيم إلا ونهتدي به الى الله، وكلما وجدنا الفعل من الدقة والحكمة والفائدة اهتدينا الى نوع من صفات الله وأسمائه الحسنى، فلو وجدنا مثلا وردة بديعة المنظر زاكية العرف، قلنا: «سبحان الله اللطيف»، أو ليس يتصف باللطف ودقة الصنع! أما لو لاحظنا الاهداف العديدة التي صنعت من اجلها الوردة من تنظيف الجو واشاعة العبق لاهتدينا الى حكمة بارئها، اما إذا تصورنا الفوائد الصحية التي تصيب الانسان من الوردة عرفنا ان خالقها رحيم بعباده.

إن آيات القرآن الكريم تذكرنا مرة بعد اخرى بنوع الافعال التي تشهد على صفات الله تعالى، وقد تسبق التذكرة بالفعل التذكرة بالصفة التي نهتدي بسببها اليها، وها نحن نستمع الى القرآن يذكرنا بصفات الله في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ ، (سورة الحج /٦١)، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ ، (سورة لقمان /٣٠)، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (سورة الحج /٦٣).

فالمنهج القرآني يكرس بيانه لمعرفة المخلوق والنظر اليه وملاحظة جوانب الحاجة فيه، على أن ذلك معبر الى الله تعالى، وهذا هو الطابع الذي يميز الحضارة القرآنية عن جاهليات الفلسفة الاغريقية التي تعمقت في ذات الله بعيداً عن النظر الى آياته فضلّت ضلالاً بعيداً.

يقول تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (سورة الانعام /١٠٣).

ومن حكمة الله التامة تنبثق نظرة القرآن الى هدفية حياة الانسان، فليست الحياة عبثاً ولهواً اراد بها الله سبحانه اللعب او اراد بها تنكيلاً، انما خلق الانسان وقدره، وبين له السبل ويسرها لكي يخضع للتقدير فيفلح، اما اذا اختار العكس فانه سيهوي الى مكان سحيق، ففي الدنيا سيشتري ضنكاً في العيش وقارعة وراء قارعة، اما في الآخرة فسيجزي الله الذين آمنوا جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابداً.

ان هدفية الحياة تهدينا الى ضرورة الحساب، فإن لم نجد في الدنيا حسابا دقيقاً وحاسماً للانسان، نتطلع الى الآخرة التي سيحاسب فيها الكافر حسابا عسيراً، ويلقى جزاءه موفوراً، فمعرفة اليوم الآخر نابعة من معرفة الله وبالذات من معرفة صفتي الحكمة والقدرة فيه، اذ الحكمة هي التي تهدينا الى ضرورة الآخرة والقدرة الى امكانها.

ومعالجة القرآن للقيامة آتية من هاتين الزاويتين، وكلما كملت فيه معرفة صفتي الحكمة والقدرة كلما زادت معرفته بالساعة ودقة حسابها.

ويمكن ان نجد تجسيداً لهذه الفكرة في الآيات المباركات: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (سورة الذاريات/ ٥٦) وقوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (سورة المؤمنون/ ١١٥)، فهناك غاية من الخلق هي العبادة والتسليم لسنن الكون وشرائع الحياة التي جعلها الله سبحانه، وليست الغاية اللعب الذي يختلف جذرياً عما نلاحظه في الكون من آثار الحكمة وآيات الهدف، ان مسيرة الحياة تدل على انها الحق، وان الباطل لا حول له فيه، فليس هناك ما يدعو الى تصور ان اللعب هو غاية الحياة، إذ اللعب نوع من الباطل الذي يدمغه الله ويدعه زاهقاً.

> التسبيح يجعلنا فجأة أمام الله، فهو ينفي عن أذهاننا المخلوقين فيظهر الخالق، ولأنه من جهة ثانية يحل عقدة مستعصية من نفس البشر، وهي العادة على تحديد الاشياء

أطفالنا صنّاع المستقبل

* الشيخ فارس الجبوري

قضت الارادة الالهية أن يكون الانسان حراً مختاراً. وهذه الارادة منّة عظيمة من الله تعالى، فكان الانسان حراً وقادراً على انتخاب طريقه، لا عبداً من طبعه ان يساق بالعصا الغليظة. ومن هذا المنطلق ينبغي التأكيد المرة بعد الاخرى على أن للتربية والتعليم دوراً أساساً في وجود وحركة الانسان. أما وضع أو سنّ العقوبات ورسم القوانين الرادعة، وتوجيه المجتمع عبر الوسائل الاخرى، فهذه كلها امور وحيثيات تأتي في الدرجة الثانية. وهاتان الحقيقتان تقوداننا الى القول بان قائد الانسان هو عقله، وهو الذي يهديه ويرسم له طريقه الصحيح وان قوانين العقوبات لابد وان تختص بالشواذ والنوادر من الناس ممن لم يطلهم التعليم.

* الأم .. دور أساس في صياغة الشخصية

لعل المتدبر في قول رسول الله، صلى الله عليه وآله: «الشقي من شقي في بطن امه...»، (الكافي، ج٨ص٨١). يفهم ان السعادة والشقاء انما يكتبان على الانسان وهو لما يزل جنيناً في بطن أمه. وها هي الهندسة الوراثية اليوم تؤكد لنا العلاقة بين حال الانسان بعد ولادته وبين ما يمر به في طور التكوين في رحم أمه.

من هنا يمكن القول: اذا اردت مجتمعاً صالحاً فابحث عن أم صالحة، واذا رأيت مجتمعاً فاسداً، فاعلم ان جذور هذا الفساد تمتد وتمتد الى ان تصل الى بعض الأمهات. فالام ليست مدرسة فحسب، بل هي حياة. فحينما يولد الانسان من أم طيبة تراه يكون ذا خصال وسجايا طيبة، أما لو كانت أمه غير صالحة فغالبا ما يكون الولد معقداً، يميل الى الشر والفساد. ففي فترة الحمل هناك ثمة مسؤولية على الأم تتمثل في ضرورة الاهتمام بحالتها الدينية، مثل الالتزام بالفرائض العبادية، وحضور المجالس الدينية، والتزود بالثقافة الاسلامية والانسانية الاصيلة، بما يعود عليها وعلى وليدها فيما بعد بالفائدة الكبرى، بدلاً من تضييع الوقت في مجالس اللهو ومشاهدة واستماع ما لا تحمد عقباه.

* الطفل ابو الرجل!

وبعد ان يولد الطفل ويبدأ بالرضاعة والنمو يكون أشد استقبالاً لمتغيرات الحياة، من ذلك الشاب الجامعي الجالس تحت كرسي استاذ جامعي قدير. لان الوليد مثل الصفحة البيضاء الجاهزة لاستقبال خطوط الكتابة في حين ان طالب الجامعة قد أوشكت قناعاته على الاكتمال. ولذلك كان لمرحلة الطفولة المبكرة أثرها الكبير على مستقبله. حتى ان علماء التربية قالوا: «ان الطفل ابو الرجل»! لما لحقبة الطفولة من تاثير بالغ على صياغة الشخصية في الكبر. ثم ان الطفل بعد الولادة

> الازمة الكبرى التي يعاني منها جيلنا المعاصر هو الفراغ العاطفي الناشئ اساساً من انشغال الآباء والامهات بشؤون الحياة، وتهيئة مستلزمات العيش اليومي

يكون بحاجة الى:

١- تغذيته بالعاطفة والحنان

فينبغي على الوالدين تزريق الحب للطفل، حتى لا يشعر فيما بعد بعقدة نقص العاطفة؛ لتفادي حصول أي فراغ او هوة في هذا المجال. واذا ما حدث ذلك - والعياذ بالله- فعلينا توقع الشذوذ واللاعقلانية في مواقفه وتصرفاته. فحالة الحب والحنان، يجب أن يتلقاها الطفل في فترة الرضاعة، ولعل الازمة الكبرى التي يعاني منها جيلنا المعاصر هو الفراغ العاطفي الناشئ اساساً من انشغال الآباء والامهات بشؤون الحياة، وتهيئة مستلزمات العيش اليومي، ونسيانهم أهمية الحاجة العاطفية؛ ولذلك نرى الروح الانهزامية تسيطر على تصرفات كثير من الاولاد. وبالتالي ظهور جيل متزلزل الارادة، فاقد للثقة بنفسه، لا يعرف للشجاعة والاقدام معنى.

٢- تحسيسه بالكرامة والاحترام

ينبغي للاولاد ان يولدوا على الكرامة التي اختص الله بها الانسان، اذ يقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (سورة الاسراء، ٧٠) . فمن أشد ضروريات التربية ان يتحسس الطفل بالكرامة بشكل شديد؛ لان من دون هذا التحسس فان الطفل لن يعي معنى الحرمة؛ وحينما يكبر يكون زوجاً او مديراً او عاملاً، أو أي مكان يتبوأه في المجتمع، لن يجد الحاجة لاحترام حرمات الآخرين، لا يعرف معنى الكرامة والحرمة لنفسه.

وحينما نتدبر في الآية الكريمة: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ (سورة يوسف، ٢١). نجد ان المنعطف الخطير في حياة النبي يوسف، عليه السلام، قد بدأ من زاوية الكرامة التي أكد عزيز مصر على إمرأته في ان توليها إياه. وهكذا اذا اردنا ان يبلغ اولادنا مبلغاً حسناً، وشأناً رفيعاً في المجتمع، فلنبدأ من نقطة الكرامة ونشعرهم بها، فلا نحطم شخصيتهم بالكلام اللاذع وتوجيه الاهانات. والرسالة موجهة بالدرجة الاولى الى الأم الصالحة التي تريد الصلاح والرشاد لولدها. فالكرامة تمثل قاعدة الانطلاق نحو النمو الصحيح، والنظر الى الاشياء والامور من الزاوية الايجابية.

ان احترام الطفل لايعني أبداً الخضوع لرغباته، كما يتصور الكثير من الآباء والأمهات، بل لابد ان نجعل من هذا الاحترام وسيلة و اداة لتربيته. وهذا يستدعي التحدث معهم بصراحة وعفوية مثيلة لما يحملونه من براءة وعفوية. وهذا يمكّن الطفل من أن يتوجه في الكبر، الى الأبوين لاستشارتهم والالتزام بوصاياهم والأخذ بنصائحهم.

٣- تكريس احترام حقوق الآخرين

في بعض البلدان التي تهتم شعوبها اهتماماً بالغاً بالحقوق العامة ترى ان الأم هناك تؤكد لولدها على ضرورة رعاية الحقوق العامة، كمقاعد القطارات مثلا باعتبارها من الاموال العامة، أو الاستفادة الصحيحة من الماء والكهرباء، ووسائل النقل العامة، وأي شيء آخر له علاقة بالجانب الاجتماعي. مثل هذه التربية تجعل من الطفل مواطناً صالحاً في الغد القريب، مواطناً لا يفكر في مصالحه الذاتية فقط، بل يضع في سلّم أولوياته مصالح الاخرين، فلا يفكر في ان يكون هو دون غيره، او يتكالب على احتلال المناصب وحيازة الاشياء، ومصادرة الآراء، والغاء دور الاخرين. وهي من أسوأ ما يمكن ان يتربى عليه الطفل.

* التربية بين الماضي والحاضر

يشيع في مجتمعنا اليوم أسلوبان من التربية» يتجسد الاول في ان بعض الوالدين يحاولون ان يجعلوا أولادهم نسخة ثانية منهم، وكأنهم يريدون ان يتكرروا بأولادهم! والنوع الثاني يتجسد في اصرار الوالدين على تسليم أولادهم الى الشارع والمجتمع ليتعلموا ما يشاؤون، مطلقين لهم العنان وكأنهم لا يمتّون اليهم بصلة. ومن الطبيعي ان يكون لكل نوع أسبابه ومبرراته ومن ثم نتائجه.

فالنوع الاول؛ يبدو انه نابع من تكرس الانانية في شخصية الوالد حيث لا يعرف من الحياة إلا نفسه؛ فهو يرى ما يفعله صحيحاً وما يتركه خطأ، جاهلاً أنه كائن معرض كما غيره للخطأ. وهذا نابع من كون الوالد ذا شخصية متكبرة على من، وما حوله من حركة وحياة؛ فهو جاهل بضرورة إيلاء الثقة بمن يستحقونها لكي يوفر الفرصة امام اولاده في محاكاة الاخرين. كما انه جاهل بطبيعة الانسان المتغيرة بتغير الزمن. فالله سبحانه وتعالى حينما خلق في الانسان حب او غريزة تقليد الآخرين بمن فيهم الآباء، فقد خلق فيهم رغبة اخرى وهي رغبة التحدي والاقتحام، واثبات جدارة الذات. إلا ان اصرار الوالدين على اسلوب الاستنساخ - إن صح التعبير- يعد إصراراً على محاربة الفطرة الانسانية التي جعلها الله تعالى متنوعة الاشكال. فحركة الزمن حركة متغيرة وكل جيل يأتي في زمن جديد وظرف جديد يفرض عليه التأقلم مع ذلك الزمن ولهذه الحقيقة اشار امير المؤمنين، عليه السلام، بقوله: «لاتقسروا اولادكم على آدابكم فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم» (تصنيف نهج البلاغة /لبيب بيضون،٦٤٤).

أما النوع الثاني: والذي يتمثل في اطلاق العنان للاولاد فهو الآخر باطل، ولا يعود بغير الضرر عليهم؛ ذلك لان رمي الابناء في مهب الريح سيما العاتية منها يعني قطع العلاقة والرابطة المقدسة بين الآباء وذرياتهم. وهو تجاهل فاضح لحق الاولاد على آبائهم، اذ انهم بحاجة الى من يأخذ بأيديهم، ويجنبهم

> عندما يكون الانسان حريصاً على تخريج ابناء صالحين الى المجتمع، فانه بحاجة لأن يتقن فنون التربية والتعليم

الكثير من السقطات التي هم في غنى عنها. بل ان كثيرا من اشكال الانحراف يؤدي بالاولاد الى نقطة لا رجعة عنها.

أما الخيار الثالث، فهي تربية الاولاد وفق الخطوط العريضة للحياة، ومن ثم منحهم الفرصة للسير وفق تلك الخطوط. وبتعبير آخر ضرورة وعي الوالدين لأهمية تربية اولادهم على خلاصة التجارب البشرية، ومن ثم وضعهم على سكة التطبيق للاستفادة من تلك التجارب و الحِكم. اما دخول الوالدين في تفاصيل حياة اولادهم اكثر من الحد اللازم ، يسلب منهم قابلية التفكير والاعتماد الايجابي على الذات. وها هي الدراسات في علم النفس، ترى ان الافراط والتفريط في صلاحية الوالدين في التربية عاملاً من عوامل تدمير الاولاد. فتراهم في مرحلة يتبعون اولادهم خطوة بخطوة حتى يرى الاولاد انفسهم محاصرين خلالها من كل جانب، وفي مرحلة اخرى يرون انفسهم ضائعين دونما ملجأ يأويهم من المخاطر. إذن؛ فالصحيح في الامر هو الحكمة والتعقل والخيار الوسط في قضية التربية.

ان الاولاد بحاجة الى من يدلهم على الطريق فحسب، وليس الى من يأخذ بأيديهم الى النهاية، ولا يجدر بنا ان ننسى الحقيقة القائلة بان «كل وقوف يسبقه تعثر او سقوط»، فالطفل لا يلتذ في الوقوف ما لم يسبق ذلك عثرات وسقطات.

فبدلاً من ان تحرضه تحريضاً مباشراً على ان يكون جدياً في حياته، حاول ان تزرع روح الجد والنشاط والتحدي في عمق نفسية أبنائك؛ وذلك عن طريق الثقة بهم وتحسيسهم بانك تثق بهم.

* العقلانية منهجاً للتربية

فمن الضروري ان نغذي ابناءنا المبادئ والاعتقادات باسلوب عقلاني وليس على شكل شحنات عاطفية فحسب، اذ المعتقدات لابد وان تكون لها جذورها العقلية والمنهجية الواضحة، وبما أن للطفل وجداناً وفطرة وله عين صغيرة وايضاً أُذن صغيرة، وله عقل صغير ولكنه يتناسب مع حجمه، فان على الوالدين تغذيته بالمبادئ والقيم من خلال الفطرة والوجدان، دون الخرافات والاساطير. فالطفل له قدرة على الاستيعاب، ولكن باسلوبه الخاص. ومسؤولية الوالدين ان يربوا اولادهم ضمن المنهجية العقلية لتكون بمثابة القاعدة الرصينة في التربية الدينية. وبما ان كتاب الله كتاب حي وناطق، ويتحدث الى قارئه بقدر عقله؛ علينا ان نقرب الاطفال من آيات القرآن الكريم، ومفاهيمها بالطريقة المناسبة لكل واحد منهم، لان في ذلك الضمانة الوحيدة ليعيشوا اجواء القرآن الكريم.

وما نقصد به من الاسلوب العقلي والمنهجي هو الابتعاد عن الخرافة والعاطفة البحتة لدى نشر الافكار والقيم، مع مراعاة الاسلوب المتدرج الذي يشد الطفل الى كتاب ربه. ولعل استشارة المتخصصين في مجال تعليم القرآن خير معين في التنقل بالطفل في اجواء كتاب الله تعالى، حيث تكون البداية بعملية التحفيظ، ثم التفسير المناسب لعقلية الطفل، ثم تعليم الاحكام والمسائل الشرعية.

* تعلّم اسس التربية

عندما يكون الانسان حريصاً على تخريج ابناء صالحين الى المجتمع، فانه بحاجة لأن يتقن فنون التربية والتعليم. فالقضية لن تكون بالسهولة التي يتصورها البعض، وأن الطفل يكبر ويدرج على الأمور الصالحة ضمن الاجواء السائدة وبصورة عفوية وطبيعية..! فمن يرغب في رعاية وردة في حديقة منزله، تراه يسأل هذا الخبير وذاك او انه يقرأ على الاقل ما يرشده الى طريقة رعاية تلك الوردة، ولكن هل ان طفله أقل شأناً من وردة؟! وهل انه لايستحق مزيدا من الاهتمام؟!

وهنا تجدر الاشارة الى ضرورة إعادة النظر في قواعد واساليب تثقيف اولادنا، وهم آباء وأمهات المستقبل. فمن المهم وضع برامج منظمة ومستمرة لمن بلغ مرحلة الزواج؛ لتعليمهم أصول التربية الدينية، والادارة المنزلية، فجهلهم باصول التربية يجعل أولادهم عرضة دائمة للوقوع في اسر المشاكل النفسية والفكرية، وبالتالي سيكونون شركاء مباشرين في كل ما يرتكبونه من أخطاء وذنوب طيلة حياتهم.

ولابد لكل زوجين شابين ان يدخلا دورة تعليمية قبل الزواج، تبين لهما معنى الزواج وهدفه، وكيفية ضمان السعادة لهم ولابنائهم.

> دخول الوالدين في تفاصيل حياة اولادهم اكثر من الحد اللازم، يسلب منهم قابلية التفكير والاعتماد الايجابي على الذات

بناء الشباب ضمانة المستقبل

*** نزار حيدر**

إن الشباب هم عماد التغيير والنهوض في كل المجتمعات، لما يتمتع به من قدرة على استيعاب التجديد والتفاعل مع العصرنة والتعايش مع المتغيرات، وإمكانيات ذهنية واسعة، وشجاعة وجَلَد، ما يؤهله لضمان مستقبل افضل.

لذا نجد للشباب في الغرب كل الفرص ليتعلم ويبحث ويشترك في الشأن العام ويعمل ويتطور، اما في البلدان المتخلفة، ومنها العراق اليوم، فان الشباب هو الشريحة الضائعة، ففرص التعليم والتطور والبحث والعمل والمشاركة في الشأن العام وفرص السلامة البدنية والعقلية مغلقة أمامه بشكل مهول. لذا ينبغي على الشباب، انتزاع الدور انتزاعاً، من خلال الاعتماد على النفس في خلق الفرص وبمختلف أشكالها.

صحيح انه لأمر صعب للغاية ولكن ربما يكون الطريق الوحيد للوصول الى القمة.

وما يؤسف له، هو انه وبعد مرور عقد من الزمن على التغيير، يجد الشباب نفسه، مرة اخرى، امام تحدي الاعتماد على الذات في انتزاع الدور، فيما كان ينتظر من الدولة العراقية الجديدة، وبمختلف مؤسساتها، ان تحتظنه ليتمكن من النهوض بنفسه بأقل الخسائر والتضحيات، وبأسرع وقت ممكن.

وتتضاعف المسؤولية اذا عرفنا أن النسبة الأكبر من المجتمع العراقي هم الشباب، ما يعني ان بقاء هذه الشريحة بلا أفق ولا أمل ولا دور، يعني ان المجتمع بكامله سيكون كذلك، بلا أي أفق واضح ومستقبل معلوم. كذلك، ستتضاعف المسؤولية اذا علمنا بان نصف شريحة الشباب، هم من الإناث، واللاتي تتضاعف معاناتهن في المجتمع، اما بسبب الثقافة الذكورية الحاكمة او العادات والتقاليد البالية او ما أشبه.

فكيف يمكن النهوض بالشباب؟

ان على جيل الشباب ان يبني نفسه ذاتياً من خلال القراءة والمطالعة وطلب العلم وتثقيف الذات، فالشاب المتعلم والمثقف لا يخدعه الدجالون بآية او رواية او خطاب او حديث او شعار زائف او زي متشابه او فتوى.

أتذكّر عندما كنّا شباباً، لم يخل بيتا من بيوتنا من مكتبة فيها مختلف انواع الكتب الى جانب الدوريات والمجلات البحثية والمتخصصة، ولقد كنّا نتبارى ونتباهى أينا يقرأ اكثر، اما اليوم فان ما يؤسف له حقاً هو غياب الكتاب والمكتبة عن بيوت الناس خاصة الشباب، وإذا ما وُجدت مكتبة عند شاب او في منزل فستجد انها تحتوي على كتب تفسير الاحلام والقصص المبتذلة والتافهة وكتب الاستخارة والتعويذة وغير ذلك من هذه الكتب السطحية التي يمنّي بها الشاب نفسه بحلم سعيد او أمل بعيد.

كما ان الشباب اقتصرت اهتماماتهم على السماع فقط، في أغلب الأحيان، او تراه منشغلا بالتواصل مع من يعرف ومن لا يعرف على مواقع التواصل الاجتماعي، ويا ليتهم يتبادلون المعلومة المفيدة مثلا او يناقشون رأياً نافعاً او يتحاورون بأدب ويناقشون قضية مهمة تخص المجتمع او شريحتهم تحديدا او يحاولون حل مشكلة من مشاكل المجتمع، إنما اهتمامهم منصب على القيل والقال وتبادل الكثير من الخزعبلات او الأكاذيب والشائعات التي لو دقق بها المرء قليلا لوجدها شائعات ليس لها أدنى حظ من الصحة، الغرض منها تدمير المجتمع وإشاعة الأكاذيب التي تشغل بال الناس بلا نتيجة.

هذا على صعيد الثقافة والفكر والمطالعة، اما على الصعيد التعليمي، فلقد كانت المسيرة المليونية التي شهدها العراق بمناسبة أربعينية سيد الشهداء الامام الحسين، عليه السلام، فرصة ذهبية لالتقي و اتعرف على الآلاف من الشباب بعمر الورد، لاكتشف انهم أميون لا يقرؤون ولا يكتبون، او انهم بالكاد يعرفون كيف يقرأون أسماءهم.

هذه الظاهرة التي تجتاح العراق اليوم، بمثابة القنبلة الموقوتة، اذا ما انفجرت في المجتمع فستدمره وتأتي على بنيانه من القواعد.

ان انشغال السياسيين، الذين يديرون البلد، بمشاكلهم وصراعاتهم وهم يبحثون عن امتيازاتهم الأنانية، الى جانب انشغال بعض المثقفين والكتاب والباحثين وأصحاب الفكر والقلم، كذلك، باهتماماتهم الخاصة، التي أبعدتهم عن تحمل مسؤولياتهم التاريخية في تربية وتعليم المجتمع، فضلا عن انهيار العملية التعليمية، الأولية منها والعالية، والذي يتجسد، الانهيار، في صفوف الدروس الخصوصية وإقرار الأدوار الثلاثة في المراحل المنتهية وتشريع قوانين الإكمال بثلاث مواد تعليمية والزحف وغير ذلك، كل ذلك تسبب بإشاعة ظاهرة الأمية وعزوف الشباب عن التعليم وطلب العلم.

لذا يجب الانتباه الى هذه الظاهرة قبل ان تستفحل بدرجة كبيرة، فيضيع الشباب نهائيا. ويجب ان تعود المدارس والجامعات والمعاهد، كما كانت، مصدر إشعاع لنور العلم والمعرفة.

و ما يؤسف له هو ان الكثير من مصادر التغذية الثقافية والتعليمية والتربوية سطحية و إنشائية، فيها كل شيء إلا العلم والثقافة والمعرفة، كما ان بعضها يغذي المجتمع بثقافة التواكل والتخلف وعبادة الشخصية وصناعة الطاغوت والموت، من خلال اعتماد ثقافات الاحلام والقصص الخرافية والتوافه من القضايا البعيدة عن واقع المجتمع، خاصة جيل الشباب.

فعلى جيل الشباب ان ينتبه الى ما يُراد له ومنه. انه مطلوب منه ان يبقى جاهلاً وأمياً ومتخلفاً ليسهل قياده.

*** كاتب واعلامي مقيم في امريكا**

العمل المؤسساتي ضرورة حياتية

* باقر ياسين

إذا كانت هناك ميزة يتميز بها عصرنا الحديث في مجال العمل والانتاج، فإنها «المؤسسات». فجميع البحوث والدراسات التي تبحث في تطوير المجتمعات وتحضّرها، تسلط الضوء على كيفية تجاوز عصر الفرد إلى عصر المؤسسة، والحالة الفردية إلى الحالة الاجتماعية.

إن كلمة «الحضارة» و«المدنية»، وما يراد منها من دلالات ومصاديق، تؤدي كلها معنى حضور الإنسان واجتماعه وتفاعله ، بل إننا عندما نريد أن نعرّف الإنسان تعريفاً يميزه عن سائر الأحياء، فلا مناص لنا من القول: أنه كائن اجتماعي سياسي، وقد ظهر هذا التعريف مؤخراً في مؤلفات المفكرين والعلماء.

وعندما بين القرآن الكريم الصفة الاساسية للانسان فانه ركز على صفة البيان والعلم وذلك في الآية الكريمة التي كانت باكورة وحي الله تعالى الى النبي الأكرم، صلى الله عليه وآله، ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾(سورة العلق /١-٥).

وفي سورة الرحمان التي تتجلى فيها رحمة الله عزوجل نقرأ قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ (الرحمن/١-٤).

وفي سورة القلم تطالعنا الآيات الكريمة: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ (سورة القلم/٢،١).

فلماذا كان القلم أداة العلم، والبيان وسيلته، ولماذا كان العلم والبيان ميزة الإنسان؟

الجواب: لأن العلم والبيان يتوليان مسؤولية نقل الخبرة من إنسان إلى آخر، ومن جيل إلى جيل، في حين إن هذه القدرة معدومة تماماً لدى سائر الكائنات الحيّة، ولذلك فإنها متوقفة عند حد معين من الفهم والمعرفة.

فالبيان وسيلة لنقل التجربة من إنسان إلى آخر، والسمة الأساسية له هي سمة الحضور، فالإنسان كائن حيّ متحضّر، اجتماعي، مبيّن ناطق، ولكن الناس مع ذلك يختلفون في مستويات تحضّرهم، فهناك بعض الحضارات متقدمة، وهناك حضارات متوسطة في التقدم، في حين أن هناك حضارات بدائية متخلّفة.

إن القيمة التي نقيس بها الحضارة ونحكم على ضوئها بأنها متقدمة، أو متوسطة، أو متخلفة، هي مدى «الحضور» فيها؛ فنحن قد نحضر عند بعضنا حضوراً مادياً بحتاً، كما تجتمع أعواد الثقاب إلى بعضها في العلبة، ولكن عندما نفتقد لسمة المعنوية فمن الطبيعي ان نفقد السمة الحضارية.

ولذلك فإننا لا نستطيع أن نسمّي علبة أعواد الثقاب بحضارة الثقاب، لأن الحضور في هذه الحالة

> نبقى عاجزون عن أن نتقدم خطوة واحدة إن لم نخرج من زنزانة أنفسنا كأفراد لندخل في رحاب التجمعات، ونعيش حياة المؤسسات، لا حياة الأشخاص

هو حضور مادي صرف وليس حضوراً معنوياً.

والآن؛ فإن من الوسائل التي يستطيع بها العلماء معرفة مدى تحضّر شعب، هي مفردات اللغة التي يتعامل بها، فهناك بعض الشعوب البدائية لا تمتلك مفردات لغوية كثيرة، فالجمل عندها بسيطة التركيب، لأن أفرادها لا يتمتعون بخبرة كبيرة لكي يحتاجوا إلى نقلها إلى بعضهم البعض، فنقل الخبرة بحاجة إلى البيان، والبيان بحاجة إلى تطوير للفهم، ولذلك نجد أن معلوماتهم بسيطة، وحضارتهم محدودة رغم أنهم يعيشون سوية.

إن الحضارة روح، وتفاعل معنوي يؤدي إلى التعاون، ونحن إذا أردنا أن نبني الحضارة الإسلامية فعلينا أن نعود إلى الجذور، وإلى الفكرة الأساسية في الحضارة، وإلى المحتوى فيها، ونفكر في الطريقة التي نجعل بها حضورنا إلى بعضنا البعض حضوراً معنوياً فاعلاً وقادراً على صنع الواقع المتقدم، وإيجاد الأرضية المشتركة للعمل.

نحن نبقى عاجزين عن أن نتقدم خطوة واحدة إن لم نخرج من زنزانة أنفسنا كأفراد لندخل في رحاب التجمعات، ونعيش حياة المؤسسات، لا حياة الأشخاص، وأن نحذر من أن تكون رموزنا، تحمل طابعاً شخصياً مستنداً إلى أفراد معينين فإن ذهبت، يتوجب علينا أن نبنيها من جديد من ألفها إلى يائها.

على سبيل المثال؛ فإن المؤسسة المرجعية التي تمتلك تاريخاً عريقاً يمتد إلى أكثر من ألف سنة، هي المؤسسة الشرعية الوحيدة التي تستطيع أن تنوب عن الإمام الحجة المنتظر، عجل الله فرجه، في عصر الغيبة، ورغم ذلك لا يوجد حتى الآن كتاب تم تأليفه حول تجربة المؤسسة المرجعية خلال ألف عام من الخبرات والجهاد، والعطاء العلمي والحضاري في مختلف الأمور.

إن السبب في ذلك أن المؤسسات لم يكن لها وجود في ذلك العصر، ولذلك فإن التاريخ لم يكتب، ولم تنتقل الخبرات والتجارب إلا من خلال الألسن والأفواه. وفي مثل هذه الحالة تسود جميع مجالات حياتنا. فنحن نعيش أفراداً ولم نستطع بعد أن نعي ضرورة ظهور المؤسسات في حياتنا.

والسؤال المهم المطروح في هذا المجال: كيف نحوّل مجتمعنا من مجتمع الآحاد إلى مجتمع الجمع والحضارة؟

للإجابة على هذا السؤال المهم لابد من تسليط الضوء على مسألة اساسية، وهي أننا نمتلك مؤسسات اجتماعية غير فاعلة لابد أن نبعث فيها الروح والحيوية والنشاط لكي تصبح بذلك مؤسسات فاعلة. ونحن في هذا المجال بحاجة إلى مؤسسات جديدة تستطيع أن تجاري العصر الذي نعيشه، ومن أجل تحقيق هذا الهدف علينا أن نقوم بوظيفتين؛ الأولى هي بعث الروح في المؤسسات القائمة، والثانية بناء مؤسسات جديدة حسب مقتضيات العصر. ويمكن الاشارة الى هذه المؤسسات بما يلي:

* ١/ الأسرة

وهي من أولى وأهم المؤسسات التي يجب أن نعمل على إحيائها، وبعث الروح فيها، فللأسف الشديد، التفاعل والحضور غير قائمين في أسرنا، فهناك الكثير من الحواجز والاختلافات بين أفراد الأسرة الواحدة؛ فالصراحة، والتعاون، والروح الجماعية المشتركة، كلها صفات تفتقر إليها الغالبية العظمى من أسرنا، وهذه حالات سلبية يجب أن نبادر إلى معالجتها.

فمن الظواهر المشهودة في هذا المجال، أن الأبناء يعملون - وبمجرد وفاة أبيهم- على هدم المحل التجاري أو نوع الحرفة التي كابد الأب وبذل الجهود المضنية في العمل بها وإنشائها، في حين أنهم في الحقيقة يجمعهم مصير مشترك، وحياة واحدة. وهذه الظاهرة إن دلّت على شيء، فإنما تدل على أن الروح الجماعية مفقودة تماماً في أسرنا.

إننا - كمسلمين- مكلّفون بإعادة الروح إلى أسرنا، لكي تعود الروح إلى المؤسسات والكيانات الأخرى في المجتمع.

* ٢/ مؤسسة المسجد

ومن المؤسسات الاجتماعية الأخرى التي يجب أن نصبّ اهتمامنا عليها هي مؤسسة «المسجد». فالتجمع الذي يحضر في مسجد من المساجد ينبغي أن يكون لمجيئهم فائدة، وأن يعرف كل واحد منهم السبب الذي جاء من أجله إلى المسجد، وأن يتعرّف على روّاد المسجد، وينشئ علاقات اجتماعية معهم، ويسعى من أجل أن يشترك مع الآخرين في تأسيس صندوق مشترك للتعاون، والقيام بالأنشطة الاجتماعية والسياسية.

إن المسجد يُعد - بعد الأسرة- اللبنة الحضارية الأولى في الأمة، فهو ليس محلاً لأداء العبادات وحسب، بل مكاناً ربما يصلح لأن تمارس فيه الكثير من الأنشطة في مختلف مجالات الحياة.

* ٣/ مؤسسة البلدية

المؤسسة الاجتماعية الثالثة التي ينبغي الاهتمام بها هي مؤسسة «الحيّ»، فالإسلام يأمرنا بأن نهتم بجيراننا ليكوّن الواحد منا هو وجيرانه مؤسسة اجتماعية فاعلة ونشطة، كأن تقام الاجتماعات والجلسات الدورية بين سكان الحيّ الواحد، أو أن يكون لهم تنظيم بلدي لإدارة شؤون محلّتهم لكي لا يضطرّوا إلى ترقّب القوانين الإدارية حتى تحل مشاكلهم، فمن المفروض أن نكون نحن المبادرين إلى القيام بهذه الأعمال، فعلى أهل المحلة الواحدة أن يجتمعوا فيما بينهم ليحدّدوا احتياجات محلتهم مثل بناء مسجد، أو تأسيس مستوصف، أو صندوق للقرض الحسن، أو حتى المحافظة على نظافة الحي السكني، بل والعمل على ضمان الحالة الصحية، بالحؤول دون انتشار الحشرات والأوبئة وغيرها - إن وجدت -.

هنا، ربما يقول البعض، إن هكذا اعمال من اختصاص الجهات الحكومية، لاسيما المسائل الصحية او الخدمية، بيد أن المبادرة من الأهالي تمثل خطوة عملية تعود عليهم بالنفع والفائدة أولاً، ثم إنها ستكون عامل حثّ وتحريض للجهات الحكومية لأداء واجبها أزاء الناس.

> التجمع الذي يحضر في المساجد ينبغي أن يكون لمجيئهم فائدة، وأن يعرف كل الواحد منهم السبب الذي جاء من أجله إلى المسجد، وأن يتعرّف على روّاد المسجد، ويعمل للإسهام مع الآخرين في تأسيس مشاريع صحية وخدمية وثقافية

التطور و الارتقاء واستحقاقات المرحلة

* كاظم السعيد

التغيير الحضاري وهداية الانسان الى طريق الهدى والصواب ليس كلاماً يقال، وعملاً هيناً، فهو مسيرة تحكمها سنة إلهية وهي الصراع بين الخير والشر والحق والباطل، وقد جسد القرآن الكريم هذا الصراع بأروع ما يكون في بيان سيرة الانبياء، عليهم السلام، خلال مهمة تبليغهم رسالات الله في مجتمعاتهم، ولم يكن لنبي او رسول من قبل الباري عزوجل ان تفرش له الارض بالورود، بل نقيض ذلك، حيث كانت تزرع في طريقهم الاشواك والعقبات الكأداء ويواجهون الموت بأقسى انواعه بسبب الطبيعة الانسانية التي تتشكل منها المجتمعات؛ لذا فان المجتمع الذي يريد ان يلحق هذه المسيرة الحضارية لابد ان يشهد ثلاث مراحل:

١ - مرحلة الرواد الذين يفجرون طاقاتهم الايمانية، ويبثون في روح المجتمع الثقة بالنفس، والتوكل على الله، وهؤلاء هم الانبياء الذين يذكرنا الله - تعالى - بهم ليبين لنا صفاتهم الانسانية، ومنها الصفة التي يشير اليها قوله - سبحانه - : ﴿إذا تُتْلى عليْهِمْ ءاياتُ الرّحْمن خرُّوا سُجّداً وبُكيّاً﴾ (سورة مريم /٥٨).

٢. مرحلة الجيل الذي يرث الكتاب، والحضارة، ولا يلتزم بهما بشكل عملي كما كان الرواد يلتزمون بهما؛ فالايمان موجود لديه، ولكنه ليس ايمان التحدي، إنما إيمان التبرير. كما ان الطقوس والشعائر الدينية قائمة بين أوساطه، ولكنها محوّرة. ويشير تعالى، الى هذه المرحلة في قوله: ﴿فخلف من بعْدهمْ خلْفٌ أضاعُوا الصّلاة واتّبعُوا الشّهوات فسوْف يلْقوْن غيّاً﴾ (سورة مريم /٥٩).

أولئك الرجال الذين يخلقون المجتمع اللاأبالي، واللامسؤول، والمجتمع القشري الفارغ، ولكنهم يرتبطون بجيل الرواد بشكل ظاهري.

٣- مرحلة أولئك الرجال الذين يخالفون الواقع الفاسد ويتوبون الى الله ويتحملون مسؤوليتهم الشرعية. والى هؤلاء يشير تعالى، في قوله: ﴿إلاّ من تاب وءامن وعمل صالحاً فأُوْلئك يدْخُلُون الْجنّة ولا يُظْلمُون شيْئاً﴾ (سورة مريم /٦٠)

ان هذه المراحل الثلاث: مرحلة القيادة، ومرحلة عدم الشعور بالمسؤولية، ومرحلة التوبة و العودة الى صفاء ونقاء الرسالة، تنطبق على كل مجتمع. فقد تجد في المجتمع الواحد أناساً يحتلون دور الرواد، و آخرين يتمثل فيهم الدور الثاني؛ دور أولئك الذين لا يأخذون من الكتاب سوى رسمه، ومن الدين إلا اسمه، ومن الطقوس إلا قشورها وظاهرها، كما ونجد الى جانبهم التائبين الذين يحاولون العودة الى المصادر الاولى لمبادئهم.

أي اننا نعيش اليوم في مجتمع مزدوج الشخصية، مجتمع نجد فيه ذلك الشاب الثائر الصادق في ايمانه والذي لا تجد بينه وبين قلبه حجاباً من نفاق، ولا بين قوله وعمله حجابا من التبرير، فنجده اذا وعد وفى، واذا قال صدق، واذا عمل اتقن. في حين نجد الى جانب هذه الفئة من المؤمنين، فريقا يدّعون الايمان ولكنهم يكذبون في ادعائهم هذا. ويصلّون ولكنهم لا يؤدون تلك الصلاة التي امر بها الله - عز وجل -؛ فيصلون صلاة فارغة، لا تنهى عن الفحشاء والمنكر في

نحن مهددون في حياتنا بالنفاق من خلال إفراغ الصلاة من محتواها.
فالالتزام بالدين يُعد أمراً صعباً، ولكن من السهل ان يستسلم الانسان للاهواء
والنفاق والازدواجية

سلوكهم.

والى جانب هاتين المجموعتين، تجد شخصيات قيادية رائدة تستطيع ان تتحمل المسؤولية، وتقود سفينة الامة الى شاطئ النجاة، وهذا هو جيل الأولياء الذي يجسد دور الانبياء.

وبطبيعة الحال فان القليل منّا يختار ان يكون ولياً من اولياء الله - تعالى- فهذا الاختيار هو طموح عال بحاجة الى جهود جبارة رغم ان من حق الانسان المسلم ان يتمنى بأن يكون في مصاف الصديقين والحواريين كأبي ذر الغفاري، وسلمان المحمدي، ومالك الاشتر، وحبيب بن مظاهر.. وغيرهم من اولئك الصديقين الذين كانوا على أقل مرتبة من المعصومين، عليهم السلام.

ان الله - عز وجل - لا يغلق أبواب السمو والارتقاء في وجه الانسان، ولم يخلقه بحيث لا يمكنه ان يصل الى هذه المراتب العالية، فان باستطاعته ان يصل الى المستويات الايمانية الرفيعة من خلال التوكل على الله - جلت قدرته -، وتربية روح الطموح والتطلع في نفسه، فاذا حدد الهدف، وصل الى ما يريد، والله- سبحانه وتعالى- سيؤيده بالتوفيق والنصر، شريطة ان تبدأ الخطوة الاولى من الانسان نفسه كما يشير الى ذلك - تعالى - في قوله: ﴿ويزيدُ اللهُ الّذين اهْتدوْا هُدىً والْباقياتُ الصّالحاتُ خيْرٌ عند ربّك ثواباً وخيْرٌ مّرداً﴾ (سورة مريم /٧٦). أي ان الاهتداء يبدأ من ذات الانسان ثم يزيده الله هدى، فالخطوة الاولى لابد ان تكون من الانسان، ثم تأتي الخطوات الاخرى من الله - عز وجل -، فان لم يستطع الوصول الى المستوى السابق، ليكن على الاقل من الذين يقول عنهم القرآن الكريم: ﴿إلاّ من تاب وءامن وعمل صالحاً﴾.

اما اذا كان الانسان يعيش في مجتمع اللامبالاة ثم لم يتبرأ من صفاتهم واعمالهم وتبريراتهم، فان هذا الانسان لابد ان يحشر مع هذا المجتمع، ويُعد منه. ولننظر في هذا المجال الى دقة القرآن الكريم في التعبير، فهو يحدثنا عن الانبياء؛ أولئك الذين أنعم عليهم من ذرية آدم، ثم يحدثنا عن جيل عدم الشعور بالمسؤولية قائلا: ﴿فخلف من بعْدهمْ خلْفٌ أضاعُوا الصّلاة﴾، ثم يقول بعد ذلك: ﴿إلاّ من تاب وءامن وعمل صالحاً﴾، وبعبارة اخرى فان الانسان عندما يولد في المجتمع اللامسؤول واللاأبالي والمجتمع المنطوي على ذاته والتبريري فانه يحشر مع هذا المجتمع، وان سيئات وخطايا هذا المجتمع سوف تلاحقه، وسيكون مسؤولاً عنها الا اذا تاب، والتوبة تعني الانفصال، أي ان يجعل الانسان بينه وبين هذا المجتمع سداً، وحاجزا.

فالانسان الذي يتوب، هو المؤمن، يقول تعالى: ﴿إلاّ من تاب﴾ ، لان هذا الانسان مؤمن في ظاهره؛ فهو يصلي ويصوم ولكن ايمانه ايمان سطحي، ولذلك لابد ان يتوب اولا ويكفر بالايمان القشري، والشهوات التي حولت الدين الى مجموعة مراسيم وطقوس وتقاليد مفرغة من المحتوى.

وفقهاؤنا يؤكدون في رسائلهم العملية على ان الانسان المسلم اذا أخذ ايمانه من باب التقليد فانه سوف لا يقبل منه، فلا يمكن للانسان ان يقلّد أحداً في اصول الدين، فلابد له ان يفهم ضرورات الدين ولا بأس ان يقلد في سائر الامور.

وللأسف، الكثير منّا ما يزال ايمانه تقليديا، فهو يقدس التقليد اكثر من تقديسه للدين نفسه، فالجزء الاكبر من افكارنا تجده مختلطاً بالتبرير واختلاق الاعذار، ولذلك فان القرآن الكريم جاء ليزيل من نفوسنا هذه الحالة التبريرية، فيبين ان الانسان مسؤول عن نفسه، وان اي عذر لا يمكن ان ينفعه، ويرفع عنه هذه المسؤولية: ﴿بل الإنسانُ على نفسه بصيرةٌ * ولوْ ألْقى معاذيرهُ﴾ (سورة القيامة /١٤-١٥)

وهكذا فان الدين هو اداة الارادة، واداة العقل في مقاومة شهوات النفس، واكتشاف ما فيها من انحرافات، أما الدين الذي يصبح جزءاً من النفس المليئة بالشهوات، والدين الذي يكرس السلبيات في نفس الانسان، والدين الذي لا يستطيع الانسان ان يختار الحق على الباطل، لا قيمة له.. انه دين اللامسؤولية والتبريرية.

وفي مقابل ذلك يستعيد الدين قيمته اذا ما حذفنا من انفسنا صفة التبرير، فيصبح مقياساً وملاكاً يمكن الاعتماد عليهما، وازاء هذه المبادرة سيدخلنا الله - تعالى - الجنة دون ان نظلم شيئا، فكل شيء بمقدار عنده، ولا تتصور انه، تعالى، من الممكن ان ينسى موقفا صغيرا من مواقف التحدي كان قد بدر منك، فاذا كنت - على سبيل المثال - مشتركا في جلسة ودية، فرأيت ان احد المشتركين في هذه الجلسة انبرى ليغتاب صديقا غائبا، ثم وقفت لتدافع عنه، فان هذا هو موقف تحد و إن بدا بسيطاً، ولكنه لايمكن ان ينسى عند الله - سبحانه وتعالى-: ﴿وما كان ربُّك نسيّاً﴾ (سورة مريم /٦٤)، فاعمال الانسان مقدرة ومحسوبة، ومحفوظة في كتاب لا يضل ولا ينسى.

ان امامنا مشاكل وصعوبات تتطلب منا الصبر، ونحن مهددون في حياتنا بالنفاق من خلال إفراغ الصلاة من محتواها. فالالتزام بالدين يُعد أمراً صعباً، ولكن من السهل ان يستسلم الانسان للاهواء والنفاق والازدواجية، فاذا تركنا الله - تعالى - أوكلنا الى انفسنا، ومنع عنا عصمته، فنهبط الى ادنى المستويات حيث جاذبية الارض والشهوات.

وبالطبع، لا اريد ان اقول هنا ان الانسان يستطيع خلال لحظة واحدة ان يتخلص من كل رواسب المجتمع الفاسد؛ المجتمع الذي يدعي الاسلام ولكنه يترك الواجبات، ويترك الجهاد، ويخضع للطغاة، فمن الصعب ان يتخلص الانسان من آثار مثل هذا المجتمع، ولكن علينا ان نجعل مسيرتنا في جهة التخلص من التبرير، وعدم الشعور بالمسؤولية.

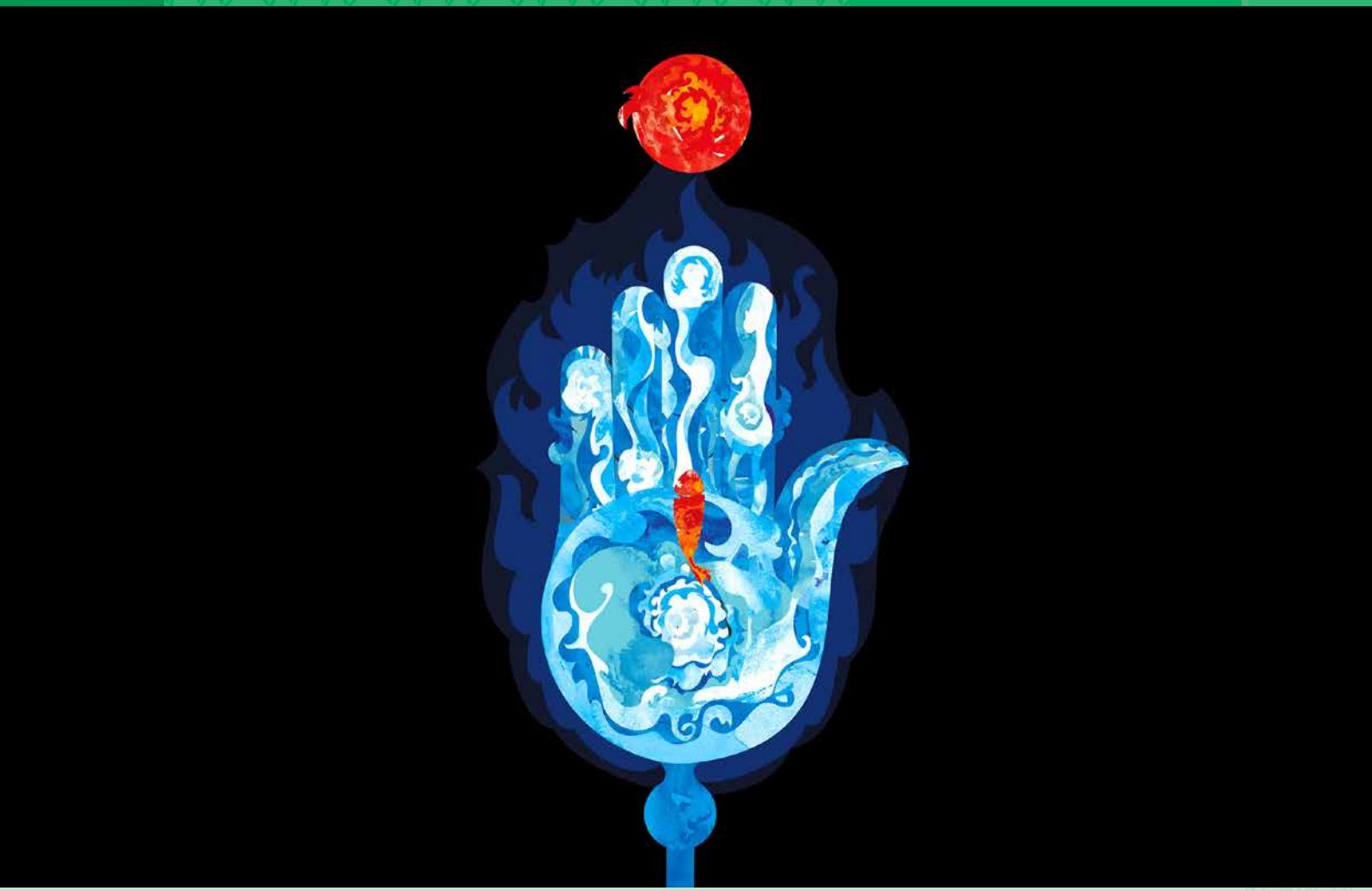

ثقافة الرسالة لا ثقافة السلطة

* كريم الموسوي

الهدف الأول والأسمى من بعث رسالات الله، هو هداية الإنسان وإخراجه من ظلمات الجهل والهوى إلى نور العلم والتقوى. وبالرغم من وجود هدف آخر لها يتمثل في تحكيم سلطان الله في الأرض، وهو الذي أشار إليه ربنا سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (سورة النساء /٦٤).

إلا ان هذا الهدف يأتي في الدرجة الثانية، سواءً من ناحية الأهمية أو الزمنية، ذلك لأن الهدف الأول والأسمى والأعظم هو هداية الإنسان وتهيئته للدخول في جنات عدن، وبتحقيق هذا الهدف تتحقق سائر الأهداف والغايات، وبعد ان يهتدي الناس إلى رسالات الله ويخرجون من زنزانات الهوى والجهل إلى نور العلم، تبدأ المساعي لإقامة حكم الله في الأرض.

وحسب هذا الترتيب المتقدم ينبغي دراسة رسالات الله جميعاً وتاريخ رسالة نبينا الأكرم، صلى الله عليه وآله، بصورة خاصة، حتى نستطيع عبر هذا المنهج معرفة هدف الرسول الأكرم والأئمة المعصومين. الذين ركزوا في حياتهم على جانبين:

١. هداية الناس.

٢. تحقيق حكم الله تعالى، - تولي أمر الدولة والحكم-.

* البناء الذاتي والاجتماعي

وبمراجعة سريعة لسيرة الرسول الأكرم والأئمة المعصومين، نكتشف الأولوية والأهمية التي كانوا يولونها للهداية والتغيير والإصلاح، قبل الوصول الى الحكم والسلطة، وكانت هذه الأولوية جلية في قبول الرسول الأكرم، دخول أبي سفيان والمنافقين وسائر أقطاب المعارضة في الإسلام ظاهراً، مع توجيههم بشتى الوسائل الممكنة كتأليف قلوبهم عبر العطاءات السخية والخلق العظيم الذي يتمتع به الرسول الأكرم، ليدخلوا في الإسلام ويكيفوا أنفسهم مع الحضارة الإسلامية الجديدة.

ان تغيير مجتمع جاهلي موغل في الظلم والفحشاء والمنكر، وبعيد عن قيم السماء، لا يمكن عبر مرحلة بسيطة من الزمن.

فهل من المعقول أن يتغير المجتمع الجاهلي من أقصاه إلى أقصاه منذ نزول «سورة المائدة»، إلى حين وفاة رسول الله، ويهجر الجاهلية بكل أصنافها ليلتحق بنور الإسلام الوضاء؟ لذا فان من أكبر الأخطاء التي وقع فيها بعض المؤرخين هو القول بعصمة كل من التحق بالرسول الأكرم، صلى الله عليه وآله. والحقيقة أن أولئك المؤرخين أنفسهم لا يعتقدون بعصمة الرسول، فيلحقون الأصحاب بالعصمة

ويبررون كل ما جرى بعد رسول الله من خلافات وصراعات وحروب طاحنة بمسألة اجتهاد الصحابة ويؤمنون بأن الثواب من الله عزوجل لكل من اجتهد سواء أخطأ أم أصاب!

إن هذا غير معقول. لأن الله سبحانه وتعالى جعل رسالاته جارية على سننه، ومن أهم هذه السنن اختيار الإنسان وحريته في انتخاب طريقه في الحياة.

لقد قبل الرسول الأكرم إسلام بني أمية وأقطاب المعارضة من قريش وأغدق عليهم الأموال لكي يحصل . بدءاً . على الشروط الموضوعية التي تمهد لنشر رسالات الله، وحتى تخضع كافة القوى السياسية الحاكمة في الجزيرة العربية بصورة مؤقتة، ولكي لا تقف هذه القوى حجر عثرة أمام انتشار نور الإسلام وهداية البشر. ثم ترك باقي هذه المسؤولية على كاهل أهل البيت، عليهم السلام، عبر التأكيد على دورهم، في أحاديث جمة فهم سفن النجاة والقرآن الناطق.

وفي طليعة هذه الأحاديث، «حديث الغدير» الذي يُعد اطاراً عاماً لكل الأحاديث حيث قال الرسول الأكرم: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه».

مما يدل على ان مسؤولية سائر الأئمة المعصومين هي ترسيخ دعائم الإسلام في المجتمع، وبعد ان كانت مسؤولية الرسول الاكرم نشر الإسلام وترسيخ قواعده وإقامة حكم الله ولو ظاهراً، تبدأ مسيرة التربية والتعليم والتزكية المستمرة على كاهل الأئمة المعصومين، عبر محاربة النفاق ومقارعة الشجرة الملعونة في القرآن «بني أمية» ومواجهة الشبكة المترامية الاطراف المتجذرة في أرض الجزيرة العربية التي كونتها القوى المختلفة كبني أمية ومن يتحالف معها، والتي كونت مع بعضها نظام مصالح في المجتمع الجاهلي ومحاربة سائر هذه الجذور العفنة لاقتلاعها من أرض الجزيرة العربية.

واجه أئمة آل بيت رسول الله، كل هذه الانشدادات الجاهلية بأدوار مختلفة، وقد نجحوا في ذلك لاكمال رسالة الله، حيث لم يكن عبثا ان تنزل آية إكمال الدين بعد غدير خم، انما جاءت تأكيداً لهذه الفكرة حيث قال عزوجل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (سورة المائدة/ ٣).

ان من يعتقد بفشل حكم الإمام علي بعدما أقام حكما دام خمس سنوات، عليه ان يتذكر ان الإمام علياً كان يؤدي دوراً رسالياً هاماً في المجتمع الاسلامي، وهو الاستمرارية في رسالات الله الى البشر، حيث جاءت رسالة الإسلام مهيمنة ومكملة لسائر رسالات الله في الأرض، وهي أزالة الحجب عن فكر الانسان، وإضاءة نور الوعي والعلم والمعرفة في حياته، ليكون حراً، مسؤولاً، وانساناً ناجحاً. كما ان عليه ان يتذكر الروايات المستفيضة التي وردت في فضائل الإمام، عليه السلام، وحاشا لله وحاشا لرسوله ان يورد كل هذه الفضائل عبثا.

والمسألة الرئيسية التي ينبغي ان نأخذها بعين الاعتبار، ان دور الامام علي لم يكن دائما الجلوس على كرسي الحكم، لأن الدور الذي يؤديه مبلغ رسالة، يختلف عن دور الحاكم، والدور الأول والأهم لكل الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين هو تبليغ رسالات الله، وعدم الخلط بين أنفسهم وبين رسالات الله، بالرغم من أنهم جسدوا رسالات الله، ولكن حين وجد الإمام علي مصلحة الرسالات الإلهية والأمة الاسلامية في تنحّيه عن الحكم فعل ذلك، ولو انه لم يفعل ذلك وتشبث بالكرسي وحمل الناس على طاعته بالسيف بعد رسول الله عبر المطالبة بالحكم بصورة عنيفة وحادة، لتوصل الناس الى قناعة مفادها ان الامام علي بن أبي طالب حاكم وسلطان، ليس على سواد الأمة بل حتى على أصحاب رسول الله.

ولإزالة هذه الشبهة، رأى الإمام علي ان يتنحى عن الحكم، لان الامة لمّا تنضج. وهو يستطيع تأدية الدور الرسالي الأساس خارج الحكم. ثم بقي الإمام على هذه الحالة إلى ان تكاثف طلب الجماهير إلى نمط الحكم الذي يؤمن به الإمام. وقد جاء الطلب من أصحاب رسول الله، ومن الذين كانوا يرون في أنفسهم أندادا للإمام بل أحق منه بالخلافة.. ومع ذلك حين عصفت رياح الفتن بالمسلمين وقتل الخليفة الثالث، وكادت سفينة الأمة تغرق في بحر الفتن، وجد جُل أصحاب رسول الله، أن ربان هذه السفينة وقائد الركب يتجلّى في الإمام علي، عليه السلام، ولهذا تجد أكثر من (٢٠٠٠) شخص من أصحاب رسول الله، ينضوون تحت لواء أخضر في صفين، ويدافعون عن الإمام علي، وعن رسالات الله ضد بني أمية، وكان بينهم (٧٩) صحابياً ممن اشتركوا في

> من يعتقد بفشل حكم الإمام علي بعدما أقام حكما دام خمس سنوات، عليه ان يتذكر ان الإمام علياً كان يؤدي دوراً رسالياً هاماً في المجتمع الاسلامي، وهو الاستمرارية في رسالات الله الى البشر

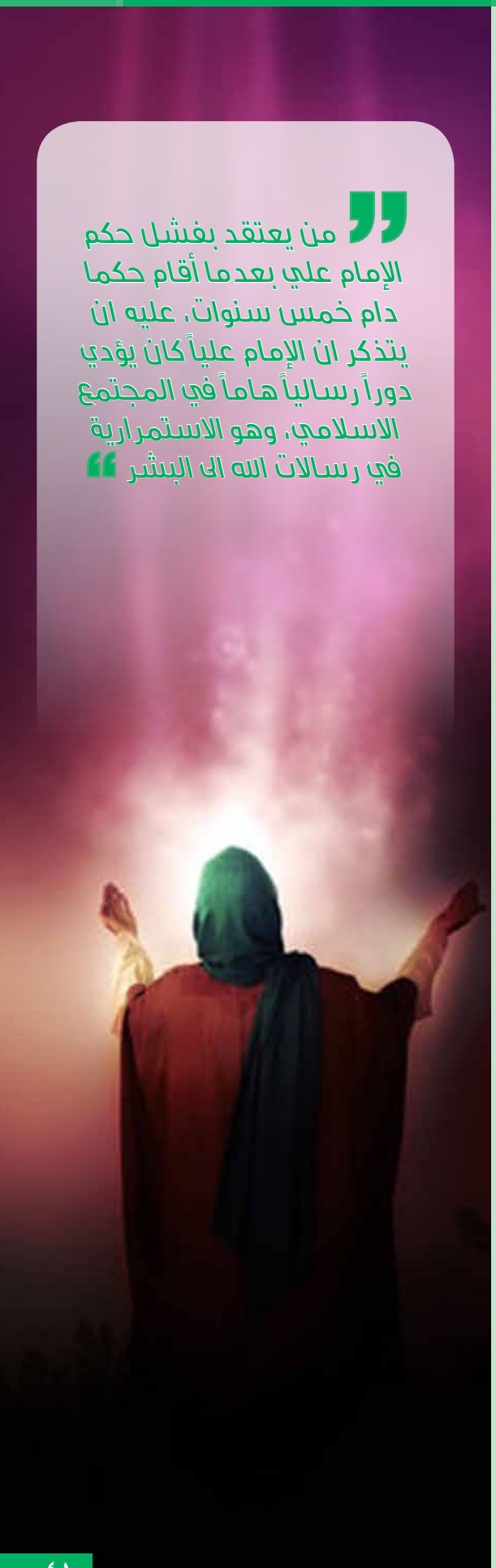

> أوجدت واقعة كربلاء منعطفاً خطيراً في مسيرة العمل برسالة الإسلام، ومن هذا الموقف نستشف المفارقة الهامة بين صاحب الرسالة الذي يتنازل عن كرسي الحكم ويهادن من يعارضه ويعرض نفسه للشهادة، وبين السلطان

معركة بدر، و(٧٠٠) شخص اشتركوا في بيعة الشجرة والذين رضي الله عنهم، اكثر أصحاب الرسول الأكرم، دافعوا عن الإمام علي، حين أحسوا بأن الشجرة الملعونة في القرآن والتي قاومت الرسالة منذ أول يوم بعثت لتقاوم الرسالة من جديد، ليس دفاعا عن شخص الإمام، إنما عن حرمة الإسلام، وانبروا في الدفاع بكل قوة حين عرفوا بأن الإمام لا يعمل لطلب الحكم.

* ثمن التغيير والإصلاح

نفس المسيرة التي مضى فيها الإمام علي، يواكبها الإمام الحسن، عليهما السلام، حيث نراه يهادن . إن صح التعبير . معاوية، مع الشروط المذكورة في التاريخ، منها إعادة الحكم مستقبلاً إلى الخلفاء الشرعيين، مع علم الامام، بخيانة معاوية، وعدم التزامه بالشروط والمواثيق، ولكنه يريد إيصال الرسالة الى المسلمين إلى ان جهازاً، كجهاز معاوية لا يمكن ان يحكم باسم الإسلام.. ولو كان الإمام الحسن يحارب معاوية لاشتبه عليهم بأن الإمام طالب سلطان كما معاوية، وبتعبير آخر يحارب لأجل الشخص لا لأجل الرسالة. لأن الحكم ليس إلا وسيلة لتحقيق هدف اسمى.

والإمام الحسين يبقى في مكة المكرمة عدة أشهر، ولا يتوجه إلى العراق حتى تصله (١٢٠٠٠) رسالة بعضها تحمل توقيع وجوه بارزة في المجتمع، والمثير أن هذه الوجوه تحولت الى وجوه عسكرية في مقدمة جيش ابن سعد لقتال الإمام الحسين، عليه السلام، في كربلاء. لذا كان انتظار الإمام، فترة من الزمن قبل الانطلاق الى العراق، حتى نضوج فكرة الدفاع عن رسالة الإسلام، رغم علمه بأن مصيره هو الشهادة. وقد صرح بذلك في أول حديث له في مكة المكرمة حين قال: «خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وكأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء».

ذهب الحسين إلى العراق، لأنه صاحب رسالة، وهذه الرسالة التي يكمل بها رسالة جده رسول الله، صلى الله عليه وآله، لن تتحقق الا بإراقة دمه وشهادة إخوته وأبنائه وأولاد أخيه وخيرة أصحابه وممن بقي من أصحاب رسول الله، إضافة إلى سبي نسائه.

وهنا تكمن نقطة الاختلاف بين الحركة الرسالية والحركة السياسية، فمن غير المعقول ان يضع صاحب البرنامج السياسي أو الخطة الاستراتيجية، على أساس الموت (الشهادة). بينما نجد صاحب الرسالة يمشي إلى الموت بخطى ثابتة ويضع الشهادة غاية مسيرته. وهكذا كان الإمام مصباحاً للهدى وسفينة للنجاة. ومن هنا أيضا بقيت هناك مهمة علينا نحن المسلمين وهي تخليد ذكرى أبي عبد الله الحسين، عليه السلام، لأنه صاحب رسالة وليس صاحب طموح سياسي، وهو ثائر استشهد في كربلاء، وتحول إلى مسيرة رسالية.

لقد أوجدت واقعة كربلاء منعطفاً خطيراً في مسيرة العمل برسالة الإسلام، ومن هذا الموقف نستشف المفارقة الهامة بين صاحب الرسالة الذي يتنازل عن كرسي الحكم ويهادن من يعارضه ويعرض نفسه للشهادة مضحياً بها في سبيل بقاء الرسالة . المحور . وبين السلطان، كما ان هذا هو الفارق الرئيسي بين الحركات الاسلامية - الرسالية، وبين الحركات السياسية غير الدينية. فصاحب الحركة الإسلامية، يفترض أن يكون الوريث الشرعي لخلافة النبي الأكرم، صلى الله عليه وآله، يبحث دوماً عن الرسالة، ويدور معها حيثما دارت. ولا يفكر في المناصب لنفسه أبدا. ولهذا تجد ان أبناء الحركة الاسلامية يرفضون التحزب. هم قد يعملون في أحزاب أو تنظيمات إسلامية، لكنهم يرفضون التحزب على حساب قيمهم ودينهم ورسالتهم، ولا يكونون كما قال عنهم الله: ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾، (سورة الروم /٣٢)، بل يكونون كما قال عنهم تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(سورة الروم /٣١).

أي ان المحور هو العودة إلى الله، فكلما أبعدتهم الاهواء عن محور التوحيد جذبتهم المعرفة إليه مرة أخرى.. فيعودون إليه وينطلقون منه.

«الدينُ لعِقٌ على ألسنتهم»

* رضا الخفاجي

هذه المقولة الخالدة للإمام الحسين، عليه السلام، التي يصف فيها حالة المجتمع الاسلامي في عصرهِ حيث وصلت الأمور الى مرحلة التردّي كون غالبية المجتمع العربي آنذاك لم تكن تؤمِن إيماناً حقيقياً بمبادئ الاسلام الذي ساوى بين العبد وسيّده ونبذ الطائفية والعنصرية عندما أكدّ على «إنَّ اكرمكم عند الله أتقاكم».

لقد كانت النزعة القبلية والقانون القبلي، سائدين في المجتمع الاسلامي، خاصّة إذا علمنا بأنّ «الرِدَّة» سيطرت، بعد مؤامرة السقيفة، حيث انتصر الاسلام القبلي ذو النزعة الجاهلية على الاسلام النبوي الذي كان متمثلاً بخط الامام علي، عليه السلام، وأهل بيته الأطهار وأصحابه الأخيار الذين كانوا يمثلون الأقلية الصادقة والمؤمنة والمناضلة التي طلّقت الدُنيا ومآربها المتهافتة، ولذاتها الفانية، وتوجهت بإيثارٍ مُنقطع النظير لبارئها مجاهدةً من اجل إعلاء راية الاسلام في كُلِّ بقاع الأرض.

إذن؛ المشكلة الكبيرة التي كان يعيشها المجتمع الإسلامي منذُ عصر الرسالة الاسلامية والى الوقت الحاضر، هي مشكلة الإيمان الحقيقي. فعندما يؤمن شخص ما أو مجتمعٌ ما، بمنظومةٍ من القيم السماوية، فإنّهُ يعمل المستحيل بكل قوة واخلاص للحفاظ عليها ونشرها في كُلّ بقعةٍ يستطيع الوصول اليها.

إن الدين الاسلامي، دينُ عِلمٍ ونورٍ وحضارةٍ إنسانيةٍ دينُ عَملٍ ومحبةٍ وتعاونٍ وتراحمٍ وتكافلٍ إجتماعي. فهو الذي استطاعَ ان يحفظ للمجتمع الاسلامي كرامته عِندما انتشر في الجزيرة العربية، في عهد الرسالة وما بعدها، حيث اندفع المخلصون للجهاد في سبيل الله، لكننا نرى في كُلِّ زمانٍ ومكان، تدهور الحالة الايمانية، عندما يتسلط على رقاب الناس حاكم ظالم مُستبد لا يعمل بدستور الاسلام وينشر القتل والرعب من اجل تثبيت سلطته الفاسدة، وكذلك يعمل على اشاعة التحريف والتزييف البعيد عن القيم الاسلامية وكُلّ القيم السماوية، ومن المؤكد تعرض المجتمع للتأثر من هؤلاء الحكام، لأن غالبية المجتمعات يسودها الفقر والجهل اللذان يؤديان سريعاً الى انتشار الأمراض الاجتماعية التي تكرس واقع التجزئة والتناحر.

لقد شخّص الامام الحسين، عليه السلام، هذه الحالة في ظل الحكم الأموي الذي اغتصب السلطة الشرعية، ونشر الرعب والقتل والاستبداد مما أدّى الى انهيار التماسك في مجتمع حديث بالاسلام، أيّ إنّ المبادئ الاسلامية لم تكن مترسخة بعد في قلوب وضمائر الغالبية العظمى من المجتمع، لذلك كان المؤمنون يمثلون الأقلية التي تعرضت الى الاضطهاد، مِنْ إبعادٍ وتهميش وتقتيل. وإلاّ لو كانت الغالبية مؤمنة لانحازت الى الإمام علي عليه السلام، والى الامام الحسين، في كربلاء لأنهم يعرفون مَن هو الامام علي، عليه السلام، وما هي مكانتهُ الحقيقية عند الله ورسوله، وكذلك مَن هو الامام الحسين، لكن المعرفة شيء والإيمان شيء آخر. لذلك خافوا من بطش بني أمية، وفضلّوا حياة الذُلّ الفانية على حياة الكرامة الخالدة.

وما أشبه اليوم بالبارِحة. ففي عصر المستكبرين والمستبدين الذين سعوا بكلّ إمكانياتهم المادية وبكُلِّ أساليبهم الخبيثة، الى نشر ثقافة وسلوك معاديين للدين الاسلامي العظيم ولكُلّ الاديان السماوية الاخرى، لأنهم يعرفون جيداً مدى تأثير العامل الديني في المجتمع.

خاصة إذا توفرت قيادات إسلامية جهادية مُخلصة لقيم السماء، قادرة على التصدي والمواجهة وتغيير المعادلة لصالح الاسلام.

إن مقولة الامام الحسين عليه السلام تنطبق تماماً على مجتمعنا المعاصر.

ولنترك المجاملات جانباً ونشخّص بدقة أسباب تخلّف مجتمعاتنا الاسلامية التي انتشر فيها الفساد الأخلاقي والمادي وأصبح القتل أمراً مألوفاً، وأصبح الارهاب الذي يهدف الى تدمير وجود الانسان، وكأنّهُ من المسلّمات التي لايمكن القضاء عليها. يقول الامام علي، عليه السلام: «كيفما تكونوا، يُولّ عليكم». إذن تنهض الحكومات من رَحِم مجتمعاتها، فتكون إنعكاساً لها، أي إن البيئة الاجتماعية هي التي تحدد نوعية النظام السياسي. لذلك ومن خلال هذا المنبر الاسلامي الأصيل – الهُدى– ندعو مخلصين الى أن يكون دور حوزاتنا العلمية أكثر فاعلية وأكثر تأثيراً ونرفض التوجُّه الذي يُريد إبعاد الدين عن السياسة.

الشعر الحسيني في مواجهة سلاح التغييب الأموي والعباسي

* محمد طاهر محمد

لقد حمل أهل البيت، عليهم السلام، في قضيتهم، الإسلام بكل قيمه ومبادئه السماوية فكانوا روحه المتجددة في كل زمان ومكان، فأذكوا النفوس بخُلقهم السامي المستمد من الخلق العظيم لرسول الله، صلى الله عليه وآله، وهذا ما ألهم الناس روح التحدي والتغيير والثورة على الواقع الفاسد. وكان في الطليعة، الشعراء، الذين كانوا خلال فترات طويلة من تاريخنا، بمنزلة الوسيلة الإعلامية الوحيدة.

لذا قلّما تجد شاعراً لم تستوقفه قضية أهل البيت، عليهم السلام، وخاصة قضية الثورة الحسينية وتلك الراية الحمراء التي ما زالت ترفرف على أفق هذه المدينة، وهي ترمز إلى ذروة العطاء البشري وتشكّل صلة نابضة، حية تروي للعصور قصة ملحمتها الخالدة.

فبدأت رحلة الشعراء مع هذه القضية والتي لم تتوقف في أقسى الظروف وأبشعها وأشدها إرهاباً ورعباً، ولن تتوقف مادامت القلوب تنبض بالحياة، وما دامت دروس هذه القضية تزخر بالعطاء.

لقد استقطبت هذه القضية قمم الشعر العربي على مدى أدواره وقرونه فراحوا ينهلون من مبادئ أهل البيت، عليهم السلام، ومواقفهم، عظمة الإباء وعظمة الخُلق، فصارت هذه القضية عرقاً ينبض فيهم في كل زمان ومكان، فصدحوا بها حتى في زمن الحكومات التي حاربت اسم «الحسين» أشد من حربها أعداءها.

ورغم سياسة البطش والتنكيل التي استعملها الأمويون والعباسيون ضد شعراء الحقيقة، إلا أن ذكر أهل البيت، عليهم السلام، لم ينقطع عن أفواههم فنجد من يقول: «إني أحمل خشبتي هذه على كتفي عشرين عاماً لا أجد من يصلبني عليها»، كما لا تجد المسلمين يدخلون مدينة حتى يتفجر على لسان شعرائهم ذكر أهل البيت، كما فعل شعراء الأندلس، وتابعهم على نهجهم الشعراء الفاطميون والحمدانيون والبويهيون. ومن روّاد هذه المسيرة الأبدية: السيد الحميري (سيد الشعراء)، وديك الجن (شاعر الشام)، وسبط ابن التعاويذي (شاعر العراق)، وابن هانئ الأندلسي (متنبي الأندلس)، والشريف الرضي (أشعر الطالبيين)، وأبو تمام، ودعبل الخزاعي، والكثير من الأسماء التي تربعت على عرش الشعر.

لقد كانت حصيلة هذه المسيرة من التحدي، عبر أربعة عشر قرناً، كبيرة جداً، تتضاءل عندها حصيلة الملاحم الكبرى من الشعر، و لاتزال تلك الحصيلة مستمرة ومع وجود التفاعل الكبير من لدن شعراء أفذاذ في عهود متوالية، وإشارة المصادر التاريخية الى وجود قصائد ودواوين شعر كثيرة بحق أهل البيت، عليهم السلام، إلا أن سياسة القمع والتنكيل من الحكام لأهل البيت، عليهم السلام، ولأتباعهم، شملت الشعر والأدب، كونه الوسيلة الأسرع والأكثر تأثيراً على الشارع، الامر الذي تسبب في ضياع الكثير، الكثير من القصائد الولائية، وما وصلنا من شعر، يمثل النزر اليسير قياساً إلى ما قيل.

فعبارة: «إن كثيراً من شعره قد ضاع»، و «ضاع أغلب شعره»، و«لم يبق من شعره إلا القليل وأغلبه قد ضاع»، تترد كثيراً في مقدمات المحققين عندما ينبرون لتحقيق

> خلف الكميت بن زيد الأسدي، خمسة آلاف ومائتين وتسعة وثمانين بيتاً، كما ذكر أبو الفرج الأصفهاني والطبري، ولكن شعره الآن لا يساوي ربع هذا العدد

ديوان لأحد شعراء كربلاء. فالسيد الحميري مثلاً وهو شاعر أهل البيت كان «ممن لا يدرك شعره لكثرته»، كما وُصِف حتى قال أحد معاصريه:

«جمعت للسيد ألفي قصيدة وظننت أنه ما بقي عليّ شيء، فكنت لا أزال أرى من ينشدني ما ليس عندي فكتبت حتى ضجرت ثم تركت».

ولكنك تتفاجأ حينما تقارن بين هذا القول وبين ديوانه المطبوع والذي لا يحتوي سوى قصائد ومقطوعات معدودة. وكذلك الحال مع دعبل الخزاعي الذي قال عنه الجاحظ: «إن دعبلاً قال الشعر مدة ستين سنة ما ذر شارق إلا قال شعرا». وقياساً على هذا القول فإنه ينبغي أن يكون ديوان دعبل أكبر من ديوانه المطبوع، ربما أكثر من مئة مرة لإنه: «قال الشعر وهو صبي»، وعاش ٩٨ سنة و «لم ينقطع عن الشعر طيلة حياته»، ولولا أن قصيدته التائية المشهورة كان قد أنشدها عند الإمام الرضا، عليه السلام، وتناقلتها الأفواه لما سلمت من يد الاغتيال.

وتستمر عملية الإبادة الشعرية، فالكميت بن زيد الأسدي يموت مخلّفاً خمسة آلاف ومائتين وتسعة وثمانين بيتاً، كما ذكر أبو الفرج الأصفهاني والطبري ولكن شعره الآن لا يساوي ربع هذا العدد. كما ضاع أو أُضيع الكثير من شعر «التوابين»، «وكان مما قيل في ذلك قول أعشى همدان»، كما ذكر الطبري وكان يسمى شعر «المكتّمات».

وتتناسل تلك اليد (الأمينة..)! على التراث الأدبي، وتمتد وتتضح بصماتها في ديوان «ديك الجن الحمصي»، فهذا الشاعر الذي قصده دعبل الخزاعي إلى بلده ونعته بـ «أشعر الجن والإنس»، ولم يخفِ أبو نؤاس انبهاره بشعره، فقصده هو أيضاً ليقول له: «فتنت أهل العراق بشعرك»، بقي شعره (١١١٠) سنة، متناثراً في بطون الكتب حتى تصدّى عبد المعين الملوحي، ومحي الدين الدرويش الحمصيان، لجمعه عام ١٩٦٠ ولكن هذين الأستاذين قطعا كل صلة للشاعر مع أهل البيت، عليهم السلام، حتى ليخيل إلى القارئ أن هذا الشاعر لم يدرك الإسلام، فلم يذكرا بيتاً واحداً للشاعر فيهم، رغم انه من شعرائهم حتى انبرى الدكتور أحمد مطلوب والأستاذ عبد الله الجبوري، لصون هذه الأمانة فجمعا ما بقي من شعر ديك الجن في حق أهل البيت، باعتمادهما على نسخة خطية بيد الشيخ محمد السماوي بلغت (٣٩) قصيدة في (٢٧٨) بيتاً بعثها إليهما الشيخ محمد علي اليعقوبي.

هكذا تلعب الأهواء والعصبية دورها في ضياع تراثنا الأدبي، وهؤلاء الشعراء الذين ذكرناهم هم نموذج للكثير من الشعراء الذين ضاع شعرهم أو بالأحرى أُضيع بسبب انتمائهم لمدرسة كربلاء، فشعر القضية الحسينية، كان يرعب السلطة الظالمة فحورب الشعراء وطوردوا ومنهم من لم يسلم حتى في قبره ف «تتبعوه رميما»، كما جرى لمنصور النمري، عندما أمر هارون العباسي بقطع لسانه وقتله وقطع رأسه لما سمع عنه أنه رثى الحسين فأخبروه بأنه قد مات فأمر بنبش قبره!!

وهذا ما يعطي صورة واضحة للممارسات الهمجية التي كانت السلطة العباسية تمارسها للحد من هذا الشعر ودفنه ونجد في بيت صفوان التجيبي الأندلسي صورة واضحة عن تلك الحرب التي شُنت على اسم كربلاء في تلك الفترة

فيا كربلا والكرب لي متملّكُ
ليكفيكِ مني أن ذكركِ مهلكُ

كما لم يسلم الشعر الأندلسي من هذا الضياع أو التضييع فما كان يفوت السلطة تضييعه ودفنه، يتكفل المؤرخون بإضاعته، ونكتفي من ذلك بما جاء في مقال الدكتور عبد اللطيف السعداني المغربي تحت عنوان «حركات التشيّع في المغرب ومظاهره»، في مجلة الهادي ١٣٩٢هـ حيث يقول:

«..ونتلمس هذه الحركة فيما بعد عصر مبدع هذه القصيدة الحسينية فنعثر على أثر آخر للفكر الشيعي حيث نلتقي بأحد أدباء الأندلس في النصف الأول من القرن السابع الهجري هو القاضي أبو محمد بن عبد الله القضاعي البلنسي المقتول في ٢٠ محرم سنة ٦٥٨ هـ ونقف على اسم كتابين من مؤلفاته العديدة موضوعهما هو رثاء سيدنا الحسين، أولهما «اللجين في رثاء الحسين». ولا يعرف اليوم أثر لهذا الكتاب غير اسمه. وثانيهما: «درر السمط في أخبار السبط»، وكان كل ما بقي من هذا الكتاب هو ما نقله المُقري في كتابه «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب». وقد اعترف المقري بأنه أغفل نقل بعض الفقرات من الكتاب مما يشم منه رائحة التشيع ثم إنه اكتفى بنقل جزء من الباقي فقط». إلى هنا انتهى كلام السعداوي ونترك التعليق للقارئ.

وهناك من الشعراء من اختفى اسمه مع شعره فقد ذكر الطبري: «ان عبد الله بن عمرو البدّي من أشجع الناس وأشعرهم وأشدهم حباً لعلي»، ولكن هل تجد لهذا الشاعر المتفرّد بين الشعراء والفارس الشجاع بيتاً واحداً؟ وكم من أمثال هذا الشاعر الفارس قد أضاعهم التاريخ؟ !

ولكن ما كان لله ينمو فبالمقابل كانت هناك أيد أمينة على هذا الشعر فنقلت إلينا هذا التراث العظيم الذي هو جزء من شعر هذه القضية. فكانت هناك قائمة طويلة من الشعراء من مختلف العصور نهلوا منها.

وينبغي الإشارة إلى أن الكثير من الأبيات التي جاء فيها ذكر أهل البيت، عليهم السلام، وخاصة الشعر الحسيني لم تذكر المصادر اسم قائلها وهي من الأبيات والمقطوعات الكثيرة التي أخفى قائلها اسمه في أوقات عصيبة كان فيها الشاعر الذي يتعرض لقضية أهل البيت، يعرض نفسه وأهله للقتل لكن كل ذلك لم يمنعه عن الإفصاح عما تغلغل في نفسه من حرقة وألم فتنطلق أبياته وتتناقلها الناس ولا يدرون لمن هي.

وقد عُرف هذا الشعر في ذلك الوقت بشعر «الهواتف»، وهو ما نسب إلى الجن وغيرهم، وكذلك شعر «الجداريات»، وهو الشعر الذي كان يكتبه الشاعر على جدران الأماكن التي أعدت للإستراحة في السفر، فيمر بها الناس ويقرؤونها وتتناقل على الألسن وقد اشتهر بذلك الشاعر «ابن مفرّغ الحميري» الذي كان يهجو الأمويين في شعره.

وديعة الإمام المهدي - عجل الله فرجه- لدى أحبته وأنصاره

* السيد جعفر العلوي

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ * إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ (سورة الانبياء/ ١٠٥ - ١٠٦).

قيام الإمام المهدي، عجل الله فرجه الشريف، وتحريره للبشرية من الظلم والاضطهاد وإقامته لحكومة العدل والحرية والتقدم، هو مما أتفق عليه المسلمون بعد أن أكدت عليه آيات قرآنية عديدة وأحاديث نبوية شريفة معروفة ومشهورة. بل إن معظم أصحاب الديانات الأخرى يؤمنون بقدوم المخلّص الذي يأتي في آخر الزمان لينصر الحق على الباطل نصراً عالمياً عظيماً.

* الجانب العالمي لمشروع التغيير المهدوي

قيام الإمام المهدي ليس مشروعاً تغييراً إصلاحياً فحسب، بل هو خلاصة المشروع الإلهي الحضاري الأعظم في الحياة البشرية طوال مسارها التاريخي الطويل. وهو مشروع الإصلاح الشامل والسليم للوضع العالمي بأكمله ثقافياً واجتماعياً واقتصادياً ونفسياً وسياسياً. وهو تحرير تام وكامل للبشرية من ضغط وظلم الطغاة والقوى الدولية المتجبرة، ومن ظلم وتأثير الثقافات المادية والعلمانية والسفسطائية والفلسفية العبثية وكل الأطروحات البشرية الخاطئة في جميع الأبعاد الحياتية. وهذا التغيير العالمي العظيم الذي سيقوده الإمام المهدي لن يكون بقوة السلاح إلا في مجال إزالة حكم الطغاة الظالمين المعاندين، بل التغيير الشامل إنما هو بقوة المنطق والعلم وبوعي وتفاعل جماهيري عالمي لن يُرى مثله من قبل في تاريخ البشرية. أنه التحول الأكبر الى عهد حكومة العدالة العالمية الشاملة لكل بقاع العالم، ضمن استرتيجية كبرى يقودها الإمام المهدي، عليه السلام، عنوانها: «يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ان ملئت ظلماً وجورا». مع ملاحظة أن مصطلح «يملأ» الذي جاء في الحديث الشريف، يشمل كافة المواقع في الأرض مكانياً وزمنياً وإدارياً ولكل شرائح المجتمع في مختلف الجوانب والمحيطات. فالعدل سيشمل المحيط الأسري والمجتمعي والبيئي والطبيعي، وسيكون السمة بارزة والحقيقة المطبقة الواضحة المعالم، في كل موقع و مكان و زمان، جغرافياً أو إدارياً.

* دعاء الندبة وديعة الإمام

يُعد دعاء «الندبة» الشريف، من الأدعية الهامة في زمن غياب الإمام المهدي، عليه السلام، كونه يحمل خارطة العلاقة مع الإمام الغائب، وما يتطلب أن يوفره المنتظرون الصادقون في أنفسهم وفي الواقع الخارجي. وتكمن أهمية هذا الدعاء أنه صادر من الإمام المهدي نفسه، عجل الله فرجه الشريف، وإن أشارت بعض الأحاديث الى صدوره أيضاً من الإمام الصادق، عليه السلام، وهذا لا يضير بل يؤكد ذات الأهمية. ويتضمن الدعاء تعريفاً واسعاً بالإمام المهدي ودوره القادم.

وقد جاء استحباب قراءة هذا الدعاء في الأعياد الإسلامية الأربعة: (عيد الفطر، وعيد الأضحى، وعيد الغدير، ويوم الجمعة)، ونلاحظ أن التركيز على قراءته هو في أيام الأفراح من جهة، وبمعدل أسبوعي في يوم الجمعة الذي تذكر الروايات أنه اليوم الذي سيعلن الإمام قيام نهضته الكبرى فيه. ولعل هذا الإهتمام بقراءته إنما هو للأهداف التالية:

١- فهم شخصية الإمام، عجل الله فرجه الشريف، وأنه وراث الأنبياء والأولياء الصالحين، وهو مشروع التغيير الإلهي العظيم القادم لإنقاذ البشر، والمتمثل في نهضته المباركة القادمة. حيث يستعرض الدعاء، مسيرة الأنبياء من آدم، عليه السلام، وإنتهاءً بالمصطفى محمد، صلى الله عليه وآله وسلم، وتسليم مقاليد الولاية والخلافة من بعده الى الإمام علي أمير المؤمنين، عليه السلام، وموقعية هذا الإمام العظيم، ثم ينطلق الدعاء بإيضاح إمتداد الإمام المهدي ووراثته لكل من سبقه من آل محمد، صلوات الله وسلامه عليهم، بل إنه عين الدين وعنوانه الكامل.

٢- إبداء مخزون العاطفة والتأثر بمصائب أهل البيت المؤلمة وتحويلها الى شعائر جماهيرية إعلامية واسعة تحمل رسالة للعالم عن عظيم مصائبهم وحقيقة مكانتهم العليا، وأهداف حركتهم الماضية والحاضرة والمستقبلية. وهنا يستعرض الدعاء بعضاً مما حلّ بأهل البيت عليهم السلام، وما يجب على الأمة أن تعمله لإحياء مصائبهم على نطاق واسع.

٣- تركيز وتعميق الرابطة القلبية، (الحب والعشق للإمام ولقدومه) والرابطة التنظيمية والسلوكية بين الإمام وشيعته.

* البحث عن الإمام والتأثر لحاله

من ضمن مقاطع هذا الدعاء المؤثر والضروري في زمن الغيبة، هو هذا المقطع القادم، والذي يهدف الى خلق علاقة تفاعل وإرتباط مقدس ومرهف بالإمام المهدي عليه السلام:

«لَيْتَ شِعْرِي أَيْنَ اسْتَقَرَّتْ بِكَ النَّوَى، بَلْ أَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّكَ أَوْ ثَرَى، أَبِرَضْوَى أَمْ غَيْرِهَا أَمْ ذِي طُوًى. عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ أَرَى الْخَلْقَ وَ لَا تُرَى، وَلَا أَسْمَعَ لَكَ حَسِيساً وَلَا نَجْوَى، عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ تُحِيطَ بِكَ دُونِيَ الْبَلْوَى، وَ لَا يَنَالَكَ مِنِّي ضَجِيجٌ وَلَا شَكْوَى».

وفي الدعاء، هنالك المقام الرفيع للإمام وافتداؤه بالنفس:

«بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ مُغَيَّبٍ لَمْ يَخْلُ مِنَّا، بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ نَازِحٍ مَا نَزَحَ عَنَّا، بِنَفْسِي أَنْتَ أُمْنِيَّةُ شَائِقٍ يَتَمَنَّى مِنْ مُؤْمِنٍ وَ مُؤْمِنَةٍ ذَكَرَا فَحَنَّا، بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ عَقِيدِ عِزٍّ لَا يُسَامَى، بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ أَثِيلِ مَجْدٍ لَا يُجَارَى، بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ تِلَادِ نِعَمٍ لَا تُضَاهَى، بِنَفْسِي أَنْتَ مِنْ نَصِيفِ شَرَفٍ لَا يُسَاوَى».

* عشق الإمام

«إِلَى مَتَى أَحَارُ فِيكَ يَا مَوْلَايَ، وَ

> قيام الإمام المهدي - عجل الله فرجه - هو تحرير كامل للبشرية من ظلم الطغاة وضغط القوى الدولية المتجبرة، ومن تأثير الثقافات المادية والعلمانية والفلسفية، وكل الأطروحات البشرية الخاطئة

إِلَى مَتَى وَ أَيَّ خِطَابٍ أَصِفُ فِيكَ وَ أَيَّ نَجْوَى، عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ أُجَابَ دُونَكَ وَ أُنَاغَى، عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ أَبْكِيَكَ وَ يَخْذُلَكَ الْوَرَى، عَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ يَجْرِيَ عَلَيْكَ دُونَهُمْ مَا جَرَى..».

* تصور لحظات اللقاء بالإمام:

«مَتَى نَرِدُ مَنَاهِلَكَ الرَّوِيَّةَ فَنَرْوَى، مَتَى نَتَفِيعُ مِنْ عَذْبِ مَائِكَ فَقَدْ طَالَ الصَّدَى، مَتَى نُغَادِيكَ وَ نُرَاوِحُكَ فَنُقِرَّ مِنْهَا عَيْناً، مَتَى تَرَانَا وَ نَرَاكَ وَقَدْ نَشَرْتَ لِوَاءَ النَّصْرِ تُرَى، أَتَرَانَا نَحُفُّ بِكَ وَ أَنْتَ تَؤُمُّ الْمَلَأَ وَ قَدْ مَلَأْتَ الْأَرْضَ عَدْلًا، وَأَذَقْتَ أَعْدَاءَكَ هَوَاناً وَ عِقَاباً، وَأَبَرْتَ الْعُتَاةَ وَجَحَدَةَ الْحَقِّ، وَقَطَعْتَ دَابِرَ الْمُتَكَبِّرِينَ، وَاجْتَثَثْتَ أُصُولَ الظَّالِمِينَ، وَ نَحْنُ نَقُولُ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»

* بعض واجباتنا تجاه الإمام المهدي

جاء في هذا الدعاء المبارك، ما يدل على برنامج عمل، وهو ما أشارت له هذه الفقرة من الدعاء:

«وَصِلِ اللَّهُمَّ بَيْنَنَا وَ بَيْنَهُ وُصْلَةً تُؤَدِّي إِلَى مُرَافَقَةِ سَلَفِهِ، وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَأْخُذُ بِحُجْزَتِهِمْ، وَيَمْكُثُ فِي ظِلِّهِمْ، وَأَعِنَّا عَلَى تَأْدِيَةِ حُقُوقِهِ إِلَيْهِ، وَالِاجْتِهَادِ فِي طَاعَتِهِ، وَالِاجْتِنَابِ عَنْ مَعْصِيَتِهِ».

هذه الفقرة الهامة من الدعاء تدعو الى الارتباط بالإمام المهدي عبر الإرتباط بسلفه. وسلف الإمام المهدي، إما أن يكونوا هم الأئمة الأطهار الذين سبقوه من وقت صدور هذا الدعاء الشريف، من الإمام الصادق على رواية، وذا أمر مؤكد ومسلّم به، بضرورة الإرتباط بأئمة أهل البيت، عليهم السلام، وإما أن يكون سلف المهدي في عصر الغيبة، وهم العلماء المخلصين والعاملين وفق منهج الإمام المهدي، في تغيير وإصلاح الأمة، كونهم سلفه المُمهدين له من حيث الإعداد لقيامه المقدس والعظيم.

إلا أن الأهم بعد اليقين بقدومه المبارك بإذن الله، هو ما أعددنا لقدومه، وأين موقعنا من هذا القدوم، هل هو العلم والاستبشار، أم هو كذلك بالإضافة الى العمل الجاد والمخلص في أنفسنا وعلى أرض الواقع. وفي الحديث الشريف: «خير أعمال أمتي انتظار الفرج». والحديث هنا يتحدث عن خير الأعمال، مما يدل على أن المقصود هو الانتظار الإيجابي بالعمل وليس فقط بالقلب والتمنيات. لذا نجد هنالك عدة واجبات أزاء إمامنا الغائب - عجل الله فرجه-:

١- المداومة على قراءة هذا الدعاء، بالخصوص صبيحة كل جمعة بشكل جمعي أو بحضور عائلي أو في حضور عدة عوائل مع بعض. مع قراءة زيارة «آل ياسين» ليلة الجمعة.

٢- الارتقاء الى مستوى الارتباط بهذا الدعاء الهام، فالأولوية هي في المواظبة على قراءته كل جمعة، ثم محاولة فهم مضامين ومعاني الدعاء بشكل عام، وهنا نوصي بقراءة كتاب «تأملات في آيات الظهور- دعاء الندبة» لسماحة الشيخ فوزي آل سيف. وفي المقام الثالث؛ التفاعل الحقيقي مع الدعاء تأثراً وبكاءً، والمقام الأرفع والأهم هو العمل بمضامين ما جاء في هذا الدعاء الشريف.

٣- تربية أنفسنا على الأخلاق الفاضلة وتقوى الله والورع عن محارمه، فقد جاء في الحديث عن أبي عبد الله الصادق، عليه السلام: «من سرّه أن يكون من أصحاب القائم فلينتظِر، وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظِر، فإن مات وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل أجر من أدركه، فجدّوا وانتظروا هنيئاً لكم أيتها العصابة المرحومة».

٤- الإعداد البدني والفني على فنون ومعارف القتال، فعن أبي بصير كما جاء في «غيبة النعماني»، قال أبو عبد الله، عليه السلام: «ليُعدَّن أحدُكم لخروج القائم ولو سهماً، فإنّ الله إذا علم ذلك من نيّته رجوت لأن ينسئ في عمره حتّى يدركه، ويكون من أعوانه وأنصاره».

٥- إطاعة الله في كل شيء، فهذا ما يريده منا المهدي، عجل الله فرجه الشريف، فعن الإمام الصادق، عليه السلام، قال: «يا أبا بصير طوبى لشيعة قائمنا المنتظرين لظهوره في غيبته، والمطيعين له في ظهوره، أولئك أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون». وفي دعاء الندبة: «اللهم... وَأَعِنَّا عَلَى تَأْدِيَةِ حُقُوقِهِ إِلَيْهِ، وَالِاجْتِهَادِ فِي طَاعَتِهِ، وَالِاجْتِنَابِ عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَامْنُنْ عَلَيْنَا بِرِضَاهُ، وَهَبْ لَنَا رَأْفَتَهُ وَرَحْمَتَهُ وَدُعَاءَهُ وَخَيْرَهُ».

إضاءات من نهج البلاغة

سياسة علي «عليه السلام» روح الإسلام

* محمد الصفار

بقدر ما أزاحت الثورة الشعبية العارمة على سياسة عثمان من أعباء أثقلت كاهل الأمة الإسلامية، وآلام أقرحت صدور المسلمين، فإنها أيضاً فتحت جبهات قادها النفعيون والإنتهازيون ضد أمير المؤمنين، عليه السلام، من بطانة عثمان وأوليائه الذين فقدوا في ليلة وضحاها كل ما يملكون.

فقد كان للتحوّل الجذري السياسي الذي أحدثته هذه الثورة أثر كبير في التحوّل الاجتماعي والاقتصادي لدى هؤلاء الذين تعوّدوا على حياة الترف والقصور والمناصب على حساب الفقراء والمعدمين من المسلمين مما دفعهم إلى العداوة وشن الحرب على أمير المؤمنين، عليه السلام، بدعوى هم يعرفون بطلانها قبل غيرهم، وهي مطالبتهم بدم عثمان لأن منهم من اشترك بدمه كطلحة والزبير وعائشة التي كانت تحرّض الناس على قتله، وطالما ارتفع صوتها في المدينة: «اقتلوا نعثلاً فقد كفر». وهم يعلمون ان علياً، عليه السلام، كان أبرأ الناس من دم عثمان، رغم أنه كان من المجاهرين بالرأي المضاد القوي ضده، وأيّد ما أراده الثوار من الإصلاح لكنه لم يحُض على قتله.

لقد جرت على أثر هذه الدعوى من الدماء ما لم تجر بقدرها في حروب البسوس وداحس والغبراء. وفي الحقيقة أن هؤلاء الثلاثة لم يكن اشتراكهم في قتل عثمان، حميةً للمسلمين وغضباً على سياسته الجائرة، وإنما اشترك طلحة والزبير في قتله خوفاً من أن يطالهما غضب الثوار لأنهما كانا من بطانة عثمان والمنتفعين من سياسته، هذا أولاً وثانياً انهما اشتركا في قتله بعد أن بلغت الثورة مداها وألهبت غضبها ولم تطق كظم آلامها فدعتهما نفساهما اللتان جبلتا على النفعية إلى الانتفاع من محصّلة هذه الثورة.

أما دافع عائشة فكان مادياً أيضاً، لأن عثمان منعها عطاءها استناداً إلى الحديث الموضوع الذي منع به أبوها، فاطمة حقها في فدك وهو: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث».

هذه هي الجبهة الأولى التي اتّضحت أغراضها من شن الحرب على دولة أمير المؤمنين، عليه السلام، أما الجبهة الثانية فهم ولاة عثمان وأهل بيته وبطانته الذين وصفهم أمير المؤمنين، عليه السلام بقوله: (ثم قام معه بنوا أبيه يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع).

* ثورة علي (ع)!

بعد أن بويع أمير المؤمنين، عليه السلام، للخلافة، فان أول ما فعله، عليه السلام، إحداث ثورة شاملة ضد الأوضاع الإجتماعية والسياسية، واجراء تغيير جذري لنظام قائم على الإثرة، فأعلن عزل ولاة عثمان، وفي مقدمتهم معاوية، عن الشام، واسترجاع القطائع والأموال و إزالة التمايز الطبقي الذي رفع من لا يستحق وخفض من لا يستحق، فدعا الى استرداد الحقوق إلى أصحابها بقوله:

«والذي بعث محمداً بالحق أنه لا بد أن يعود أسفلكم أعلاكم وأعلاكم أسفلكم وليسبقن سابقون كانوا قصروا وليقصرن سباقون كانوا سبقوا».

> كان إقرار علي، عليه السلام، مبدأ المساواة في العطاء، يعد من قراراته الثورية، لأنه كان يعني انقلاباً اجتماعياً بكل ما تعنيه هذه الكلمة من دلالات، وهو العودة إلى النظام الأصيل في الإسلام الذي ألغى الفوارق الطبقية

أما في ميدان العطاء فقد أحدث تغييراً ثورياً آخر، تمثل في مبدأ المساواة في العطاء بصرف النظر عن الإنتماء القبلي والعرقي وهو المبدأ الذي كان معمولاً به في عهد رسول الله، صلى الله عليه وآله، والذي ألغاه عمر، وجعل بدله التمايز بالإنتماء القبلي والعرقي، وبلغ هذا التمايز الطبقي حداً بشعاً في عهد عثمان وكان السبب في الثورة والانقلاب الجماهيري عليه.

لذا يمكن القول: إن إقرار الإمام، عليه السلام، مبدأ المساواة في العطاء، يُعد انقلاباً اجتماعياً بكل ما تعنيه هذه الكلمة من دلالات، وهو الذي عاد بالمجتمع والأمة إلى النظام الأصيل في الإسلام الذي ألغى الفوارق الطبقية. وهذه السياسة كانت كفيلة بإنهاء جوع الفقير وسد حاجة المحروم الذي سببه احتكار الأغنياء للثروة، فقد أعلن، عليه السلام:

«إن الله فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء فما جاع فقير إلا بما متع به غني». كما كان له موقف حاسم وحازم من الأملاك والأموال التي اقتطعها عثمان لأهل بيته وأعوانه وولاته فأعلن، عليه السلام، ردها إلى ملكية الدولة وحوزة بيت المال:

«ألا إن كل قطيعة أقطعها عثمان وكل مال أعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال، فإن الحق القديم لا يبطله شيء ولو وجدته قد تزوج به النساء وفرق في البلدان لرددته إلى حاله، فإن في العدل سعة ومن ضاق عنه العدل فالجور عليه أضيق».

هذا المبدأ، لم يرق لحاشية عثمان وأقاربه الذين كان بيت المال تحت أيديهم، وهم مروان بن الحكم وسعيد بن العاص والوليد بن عقبة وأمثالهم، فتكلم عنهم الوليد وطلب من أمير المؤمنين من جملة كلامه أن يضع عنهم ما أصابوه من الأموال الطائلة من بيت المال في عهد عثمان فقال، عليه السلام لهم:

«ليس لي أن أضع حق الله عنكم ولا عن غيركم».

ثم أخذ مسحاته ومكتله ليعمل في حفر بئر وهو يردد الآية الكريمة: «تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين».

وفي اليوم الثاني أعطى، عليه السلام، لكل من حضر دون استثناء ثلاثة دنانير وأخذ هو، عليه السلام، ثلاثة دنانير ايضاً، فقال سهل بن حنيف: يا أمير المؤمنين.. هذا غلامي بالأمس وقد أعتقته اليوم فقال، عليه السلام:

«نعطيه كما نعطيك»

كان، عليه السلام، يعرف أن هذه المبادئ السياسية في إزالة الفوارق الإجتماعية، ستجابه بمعارضة الأغنياء الذين اتخذوا انتماءاتهم القبلية وقرابتهم من عثمان سبيلاً لاحتكار الثروات والأموال، فبدأت محاولاتهم لإستعادة مكانتهم، ومن ألف أمرا شق عليه فراقه، فشق عليهم ذلك وأنكروه، حتى صاح الزبير في مجتمع المدينة معلناً بداية شرارة التمرد: هذا جزاؤنا من علي..! قمنا له في أمر عثمان حتى قتل، فلما بلغ منا ما أراد جعل فوقنا من كنا فوقه..!

لقد أوضح الزبير بقوله هذا كوامنه وبلغ به طمعه أن صار يتحدث بالأباطيل فهو لم يستأذن علياً في اشتراكه بقتل عثمان ولم يكرهه أمير المؤمنين على بيعته، كما لم يكره غيره ممن لم يبايعوه لكن الأموال التي كان يجنيها من عثمان والتي فقدها الآن أفقدته صوابه فنسي أو تناسى سياسة رسول الله، في الأموال التي أعادها أمير المؤمنين بعد أكثر من عشرين سنة، وشارك الزبير، طلحة في تمرّده إلى الحد الذي بلغ بهما إلى نقض البيعة و إعلان الحرب تحت ستار الطلب بدم عثمان.

أما علي، فلم يكن الزبير وطلحة وغيرهما من الذين أشرب في قلوبهم حب المال وكثرة العطاء يثنونه عن عزمه في تطبيق شريعة الإسلام الحقّة وانتهاج نهج رسول الله في المساواة فأعلن موقفه أمام كل المعارضين:

«أتأمرونني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه والله لا آمر به لو كان المال لي لسويت بينهم فكيف وأن المال مال الله».

فاتسعت جبهة المعارضة من قبل بطانة عثمان وأوليائه ليعلنوا الحرب، فكما حارب علي، عليه السلام، كفار قريش، لإرساء دعائم الاسلام، فقد حمل السيف للدفاع عن مبادئ الإسلام وتطبيق شريعته، فتجسد في سياسته روح الإسلام التي تنكّر لها المنافقون فنقضوا البيعة وفارقوا الطاعة وشقوا الصفوف بعصا الخلاف، لكن علياً لم يثنه عن موقفه المبدئي شن الحروب عليه وبقي متمسكاً به.

«مالي ولقريش والله لقد قاتلتهم كافرين ولأقاتلنهم مفتونين وإني لصاحبهم بالأمس كما أنا صاحبهم اليوم».

* القلّة في طريق الحق

وتتسع رقعة المعارضة في الأمصار وتتسلل فلول المنهزمين من حرب الجمل مع غيرهم من الأغنياء وبقية الأمصار إلى الشام لينضموا إلى جبهة معاوية ولكن علياً القائل: «لا تستوحشوا طريق الحق لقلة سالكيه»، لم يكن ليضيره انضمام هؤلاء إلى معسكر الباطل ورغم تأزّم الظروف فإنه كان مطمئناً وهو يحارب، حرب الحق وينتصر للعدالة بالعدل فيكتب إلى عامله على المدينة سهل بن حنيف:

«أما بعد فقد بلغني أن رجالاً ممن قبلك يتسللّون إلى معاوية فلا تأسف على ما يفوتك من عددهم ويذهب عنك من مددهم فإنما هم أهل دنيا هم مقبلون عليها قد عرفوا العدل ورأوه وعلموا أن الناس عندنا في الحق أسوة فهربوا إلى الإثرة فبعداً لهم وسحقاً».

وعندما بلغه أن عامله على أردشير مصقلة بن هبيرة الشيباني يفضّل أهله على غيرهم في العطاء كتب إليه:

«بلغني عنك أمراً إن كنت فعلته فقد أسخطت إلهك وأغضبت إمامك إن حق من قبلك وقبلنا من المسلمين في قسمة هذا الفيء سواء».

> كما حارب علي، عليه السلام، كفار قريش، لإرساء دعائم الاسلام، فقد حمل السيف للدفاع عن مبادئ الإسلام وتطبيق شريعته

كما يكتب إلى الأسود بن قطيبة صاحب جند حلوان:

«أما بعد فإن الوالي إذا اختلف هواه منعه ذلك كثيراً من العدل فليكن أمر الناس عندك في الحق سواء فإنه ليس في الجور عوض عن العدل».

ويوصي الأشتر في عهده التاريخي الخالد عندما ولاه مصر من ضمن وصاياه: «وإياك والإستئثار بما الناس فيه أسوة فعما قليل تنكشف عنك أغطية الأمور وينتصف منك للمظلوم».

ويأتي إليه عقيل بن أبي طالب وقد افتقر أشد الفقر وتغيرت وجوه أولاده من الجوع ليطلب من أخيه صاعاً من القمح فيصف لنا أمير المؤمنين هذا الموقف في خطبته فيقول :

«والله لأن أبيت على حسك السعدان مسهداً أو أجر في الأغلال مصفّداً أحب إليّ من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد وغاصباً لشيء من الحطام وكيف أظلم أحدا لنفس يسرع إلى البلى قفولها ويطول في الثرى حلولها والله لقد رأيت عقيلاً وقد أملق حتى استماحني من بركم صاعاً ورأيت صبيانه شعث الشعور غبر الألوان من فقرهم كأنما سودت وجوههم بالعظلم وعاودني مؤكداً وكرر عليّ القول مردداً فأصغيت إليه سمعي فظن أني أبيعه ديني وأتبع قياده مفارقاً طريقتي فأحميت له حديدة ثم أدنيتها من جسمه ليعتبر بها فضج ضجيج ذي دنف من ألمها وكاد أن يحترق من ميسمها فقلت له ثكلتك الثواكل يا عقيل أتئن من حديدة أحماها إنسانها للعبه وتجرني إلى نار سجرها جبارها لغضبه أتئن من الأذى ولا أئن من لظى».

ويأتي إليه الأشعث بن قيس بهدية، هي في الحقيقة رشوة أراد منها تحقيق غرض دنيوي كان في نفس الأشعث الإنتهازية فقال، عليه السلام:

«وأعجب من ذلك طارق طرقنا بملفوفة في وعائها، ومعجونة شنئتها، كأنما عجنت بريق حية أو قيئها فقلت: أصلة أم زكاة أم صدقة ؟ فذلك محرم علينا أهل البيت.. فقال: لا ذا ولا ذاك، ولكنها هدية. فقلت هبلتك الهبول..! أعن دين الله أتيتني لتخدعني؟ أمختبط أنت أم ذو جنّة؟ أم تهجر؟ والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلته وإن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها. ما لعلي ولنعيم يُفنى ولذة لا تبقى نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزلل وبه نستعين).

ويأتي إليه عبد الله بن زمعة وهو من شيعته يطلب منه مالاً فقال له:

«إن هذا المال ليس لي ولا لك، وإنما هو فيء للمسلمين وجلب أسيافهم، فإن شركتهم في حربهم كان لك مثل حظهم وإلا فجناة أيديهم لا تكون لغير أفواههم».

ويقول من خطبة له:

«من استهان بالأمانة ورتع في الخيانة ولم ينزه نفسه ودينه عنها فقد أحل بنفسه الذل والخزي في الدنيا وهو في الآخرة أذل وأخزى وإن أعظم الخيانة خيانة الأمة وأفظع الغش غش الأئمة».

ويخطب في الناس فيقول من بعض خطبته: «و لألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز».

ويدخل، عليه السلام، بيت المال في البصرة بعد انتصاره في حرب الجمل، فنظر إلى كثرة ما فيه من الذهب والأموال والنفائس فقال:

«غري غيري» مراراً..

وعند خروجه من البصرة قال:

«ما تنقمون مني وأشار إلى قميصه والله انه من غزل أهلي. ما تنقمون مني يا أهل البصرة وأشار إلى صرة في يده فيها نفقته والله ما هي إلا من غلتي في المدينة وإن خرجت عنكم بأكثر مما ترون فأنا عند الله من الخائنين».

ومن خطبة له، عليه السلام:

(ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه، ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد، فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً ولا ادخرت من غنائمها وفراً ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً ولا حزت من أرضها شبراً ولا أخذت منه إلا كقوت أتان دبرة ولهي في عيني أوهى من عفصة مقرة».

«هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي إلى تخير الأطعمة ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى وأكباد حرى أو أكون كما قال القائل:

وحسبكَ داءً أن تبيتَ ببطنةٍ وحولكَ أكبادٌ تحنُّ إلى القدِّ

أأقنع من نفسي بأن يقال هذا أمير المؤمنين، ولا أشاركهم في مكاره الدهر أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش. فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات كالبهيمة المربوطة همها علفها...»

«إليك عني يا دنيا فحبلك على غاربك قد انسللت من مخالبك وأفلت من حبائلك».

«اعزبي عني فوا الله لا أذل فتستذلّيني ولا أسلس لك فتقوديني».

هذه هي سياسة الحق والعدل والنبل.. سياسة علي بن أبي طالب، عليه السلام، وهذه هي نفحة من نفحات نهج البلاغة وقبساً من هديه الذي حاد عنه المسلمون فتاهوا بغياهب الظلم وابتلوا بولاة الجور وحكام الضلال.

الإسلاميون والسلطة.. بين مدرستين

* كريم الموسوي

علاقة الحركة الإسلامية بالسلطة السياسة في بلداننا، وسمت بالشائكة أو المأزومة، أو الملتبسة، والمحصلة؛ تبقى أحد العقد المستعصية على الحل مع كثير من العقد التي تثقل بلادنا الإسلامية مما يؤخر من تقدمها وانطلاقتها في ركب الحضارة.

إن كثيراً من أزماتنا المستعصية – ومنها هذا الموضوع– هي أزمات عندما تسكن في بلادنا، لكنها في البلاد المتحضرة، نراها تذوب ولا تعد أزمة، وهذا بسبب حالة التخلف والاستبداد المستحكم عندنا.

وكثير مما يُعاب على التشيّع في عالم التخلف والانحطاط، ما لو وزنته في عالم التحضر لكان من مفاخر التشيّع، و مدعاة لافتخار الشيعة، منها النظام الإداري أو ما يسمى بالمرجعية الدينية.

ومثال ذلك ما يثيره البعض من التشكيك بولاء الشيعة لبلدانهم، او احتجاجهم على الشيعة بالعمل السياسي والثقافي في بلاد الأكثرية السنيّة، فخطر لي أن لو تم نقل هذا التصور والاعتقاد، الى مؤسسات المجتمع المدني في الدول المتحضرة، لكان رد الفعل آلاف علامات التعجب والاستنكار لأنها تخالف أوليات الحقوق المدنية للإنسان، لأنهم بالتأكيد يتحدثون عن التعاطف الفكري دون السياسي، ولو عنوا بالولاء السياسي فيرجع السؤال عليهم: ولِمَ تبحث فئة عريضة من المجتمع عن الولاء الخارجي؟ أليس بسبب خطأ النظام السياسي الداخلي وظلمه، وبالتالي هو أحق باللوم والعتب والتشنيع؟

الفكر الشيعي –إجمالاً– أكثر تقنيناً وأكثر التباساً، في آن، مقارنة بالفكر السني، فالفكر السنّي، كونه مذهباً إسلامياً نشأ في قصور الخلافة، وبالتحصيل كانت السلطة –واستمرت– تحت شعار «ولي الأمر»، المفروض الطاعة وله الأسبقية في التنفيذ في حال التعارض انطلاقاً من اقتران طاعته بطاعة الله والرسول، و استناداً الى قول البارئ – عز وجل–: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، أما الفكر الشيعي المحكوم بالإمامة، ذو المواصفات الكاملة، فقد بدأت أزمته مع السلطة في الساعة الأولى لمواراة الرسول الأكرم، صلى الله عليه وآله، التراب، لأنه أصبح في صف المعارضة حينما طالب بالحكم للمعصوم، وانطلقت من هناك تسمية «الروافض»، وغيرها عليهم.

إن معيار الولاء في بلداننا ملتبس، والسبب أن السلطة السياسية – وقل الحاكم– هو الأصل وليس الوطن، ويُختصر الوطن في فرد واحد أو عائلة، وبالتالي عند الحديث عن الولاء فالمطلوب الولاء للرئيس أو الملك، ومطالب المواطن بالتعزية إذا رحل الأول وكتابة التبريكات للثاني إذا جلس على الكرسي. وعندما يتم فصل الوطن عن الحاكم – وهي ضرورة قاطعة– يكون حب الأوطان والعمل من أجلها والتضحية في سبيلها والدفاع عنها إيماناً، ومطالبة البعض الشيعة في الذوبان في بلدانهم مقبولة إذا كان القصد الوطن وليس النظام السياسي بكل سوءاته.

هذه النظرية تأصلت في الفكر السني ولم تعد طارئة أو محكومة بعنوان «الضرورة»، أو «الاضطرار» كما في الفقه الشيعي، وإلا بماذا نفسر السكوت المريع وعدم التحرك أمام الاستبداد والديكتاتورية طيلة العقود الماضية، حتى تجمدت حركة التنمية في بلداننا وسقطت في وحل التخلف والحرمان؟

إن تركيب نظرية «ولي الأمر» على الحاكم هي أكثر النظريات التي تغلغلت في الفكر الإسلامي تخلفاً وخطورة، لأنها نظير للدكتاتوريات مبسوطة اليد، وقد شلّت الحياة السياسية في وطننا الإسلامي عقوداً من الزمن، ونقلته من أزمة إلى أخرى، في جو من الصراعات والانقلابات، والحل يكون بنسف النظرية التي تقول أن الحاكم هو «ولي الأمر»، وأخطر منها نظرية تسمية الحاكم «أمير المؤمنين»، مادام قد تربع على العرش بأي طريق كان، دون موازين عقلائية وشروط الكفاءة والدين والتي يختصرها الله في كتابه العزيز بـ «التقوى» في قوله تعالى ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾، كما تأطرت في الفكر الشيعي في نظام «المرجعية»، ويكون التعامل مع الحاكم تحت عنوان «الحكومة»، كما ورد تفصيله في الفقه الإسلامي دون إلزام الولاء والعبودية والبنوّة.

فالحكومات تأتي لتكون سلطة تنفيذية ليس إلا، وليس أي عنوان أكبر من هذا، ولها مهمة محدودة بزمن، فإن نجحت في مهمتها تبقى، وإلا فعليها الرحيل لتحل محلها من هي خير منها وأكثر قدرة على خدمة هذا المجتمع، فما أسهل رحيل الحكومات في الدول المتقدمة، وما أعقدها من مسألة في دولنا. بل قد يقف البلد على أطراف أقدامه في حال رحيل الرئيس، والأمة كلها تعيش القلق والاضطراب، فبعض بلادنا من أجل تغيير الحاكم يجب أن يتعبأ حلف عسكري ضخم مثل «ناتو» لإزاحة شخص مثل «القذافي» عن السلطة.

أليس السبب في هذا هو هذه النظرية الأموية المشؤومة؟ وإلا فمادام الحاكم هو ولي الأمر فهل نلوم المتصارعين على العرش – الخليج مثالاً– وهم يفكرون ليل نهار في الطريقة التي يصلون فيها الى قمة السلطة، حتى وإن سالت في الطريق أنهار من الدماء.

القاسم - عليه السلام -

مرقد شامخ و رمز للصبر والتحدي

> تمكن بمفرده أن يستعيد ما سلبه الغزاة من الحي بعد ان قاتلهم وشتت جمعهم، إذ وقعت الحادثة بغياب رجال الحي واستنجاد النسوة بالقاسم، عليه السلام

* إعداد / أمجد علي الربيعي

من أبواب الحوائج المعروفة والمشهورة، ومن الرجال الذين صدقوا وعدهم لله تعالى، ومضوا على سيرة آبائهم، حاملين راية «لا إله الا الله محمد رسول الله علي ولي الله»، متأسّين بمصاب جدهم الحسين، عليه السلام، انه السيد الجليل سليل العترة الطاهرة، القاسم بن الامام موسى بن جعفر، عليهما السلام، الاخ الشقيق للامام الرضا، عليهم افضل الصلاة والسلام. وفي هذا الحيّز، نحاول ان نلقي نظرة عن حياة الامام القاسم، عليه السلام، والمدينة التي سُميت باسمه، والتي اصبحت من المدن المهمة في حاضرة العراق العراق.

ولد الإمام القاسم عام ١٥٠هـ في المدينة المنورة. عاصر خلال حياته الشريفة أربعة من خلفاء بني العباس وهم المنصور، المهدي، الهادي و الرشيد، وأُمّه، أُمّ ولد ، تكنّى بأُمّ البنين .

* «خرج منها خائفاً يترقّب»

ولما كان العتاة، من بني العباس، معروفين ببطشهم وشدة وطأتهم على رجال البيت العلوي، ولأنهم ضاقوا ذرعاً بوجود الإمام لما يمثل من امتداد للنبوة ومعدن للحكمة ومنهل للعلم وأبوة ورحمة للمؤمنين، فقد تعقبوا العلويين للتخلص منهم بأية طريقة كانت، مما دفع الأئمة عليهم السلام، لاتباع نهج التخفّي والتمويه بالاستعانة بأبنائهم غير المعصومين من الذين يرادفونهم علماً وتقوى لإخفاء الإمام المعصوم، حفاظاً على الوجود الكوني برمته، بناءً على الحديث الشريف عن الإمام الصادق، عليه السلام: «لولا وجود الإمام لساخت الأرض بأهلها»، وهكذا فقد انتشر أولاد الإمام الكاظم، عليه السلام، في بقاع الأرض للتمويه على شخص الإمام الرضا، عليه السلام، وفي مقدمتهم الإمام القاسم، عليه السلام، المعروف بغزارة علمه ورجاحة حلمه وشدة ورعه إضافة لكونه الأخ الشقيق الوحيد للإمام الرضا عليه السلام من الذكور.

هاجر الإمام القاسم عليه السلام من مدينة جده المصطفى، صلى الله عليه وآله، صوب العراق مع القوافل التجارية التي فارقها عند مشارف الكوفة ليسير بمحاذاة نهر الفرات قاطعاً المسافات الطوال، تاركاً كل قرية أو مدينة يمر بها حتى وصل إلى منطقة «سورى»، إذ وجد بنتين تستقيان الماء، فقالت إحداهن للأخرى: «لا وحق صاحب بيعة الغدير.. ما كان الأمر كذا وكذا...»! فسره سماع هذا القسم، وتقدم باستحياء ليسأل التي أقسمت:

«من تعنين بصاحب بيعة الغدير»؟ فأجابته:

انه سيدي ومولاي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، عليه أفضل الصلاة والسلام.

عندها أطمأن قلبه وهفت نفسه لأهل هذا الحي الذي يسمى «باخمرا»، نسبة الى كثرة خمار الطين، وهو التراب المخلوط بالماء والتبن المستخدم في البناء والملح.

طلب القاسم، عليه السلام، من البنت صاحبة القسم ان تدله على مضيف رئيس الحي، فاستجابت لطلبه قائلة: «إن رئيس الحي هو أبي..»، والذي رحب به، وأحسن ضيافته، وانتظر القاسم، عليه السلام، حتى مضت ثلاثة أيام فبادره بقوله:

يا عم..! ما عبد الله بأفضل من العمل،

> أنكر القوم على تزويجه لأنهم لم يعرفوا له حسباً ونسباً، لكن والد الفتاة لم يكترث لاعتراضهم فمضى في قراره بتزويج القاسم من إحدى بناته، لما رأى فيه من أخلاق رفيعة و ورع وتقوى

فهلا وجدت لي عملاً يكون لي مغنماً؟ فقد طاب لي العيش بين ظهرانيكم.

أبدى الشيخ استعداده لاستضافة القاسم، عليه السلام، مدى عمره، إلا انه أمام إصراره، عليه السلام، طلب إليه أن يختار عملاً بنفسه، عندها اختار أن يكون ساقياً للماء، لما في سقاية الماء من أجر عظيم، ولما للماء من أهمية في الحياة. فجذب الإمام القاسم، عليه السلام، بورعه وتقواه وعبادته وعلمه أنظار اهل الحي وفي مقدمتهم رئيسهم الذي يوليه اهتماماً بالغاً، وكان كلما تفقده ليلاً وجده صافاً قدميه قائماً قاعداً، راكعاً ساجداً، ونوره ساطع الى عنان السماء، ثم انه يمضي نهاره صائماً غالب الأيام ، لذا استقر في نفسه أن يزوجه إحدى بناته، فعرض الأمر على قومه فأنكروا عليه ذلك لأنهم لم يعرفوا له حسباً ونسباً، إذ إن القاسم، عليه السلام، لم يعرفهم بنفسه سوى انه «الغريب»، ولم يوقفهم على نسبه الشريف مخافة بطش السلطة الغاشمة. فلم يكترث الشيخ لاعتراض قومه فمضى في مشيئته ليعرض أمر الزواج على القاسم، عليه السلام، فاستجاب، عليه السلام، لعرض الشيخ مفضلاً البنت صاحبة القسم التي دلته على مضيف أبيها يوم قدومه الحي، وبهذا تشبه قصة الامام القاسم، عليه السلام، قصة نبي الله موسى، عليه السلام، في خروجه متخفياً الى الأرض التي كان فيها نبي الله شعيب، عليه السلام، ولقائه البنتين عند سقاية الماء، والدلالة على البيت ثم الزواج من إحداهن .

* الشجاعة الى جانب الأخلاق

تجتمع الروايات تقريباً على عدم وجود عقب للقاسم، عليه السلام، من الذكور فيما تشير أخرى إلى انه أعقب بنتاً اسمها «فاطمة».

ظهرت من الامام القاسم، عليه السلام، كرامات وصفات لم تجتمع لشخص خلال وجوده في الحي، فقد وفرت مياههم، وزادت محاصيلهم، وبورك في مجهودهم، إضافة إلى ما تمتع به، عليه السلام، من حسن شمائل وطيب معشر وسمو أخلاق وغزارة علم أفاضت على أهل الحي .

وخلال وجوده في تلك البلدة، سجّل القاسم، موقفاً شجاعاً أثبت أصالته وجذوره العلوية التي تدفعه لمناصرة المظلوم ومقارعة الظالم. فقد حصل أن تعرض الحي الذي يسكنه الى محاولة غزو وسلب ونهب من قبل لصوص وقطاع طرق، وتمكن بمفرده أن يستعيد ما سلبه الغزاة من الحي بعد ان قاتلهم وشتت جمعهم، إذ وقعت الحادثة بغياب رجال الحي واستنجاد النسوة بالقاسم، عليه السلام، الذي تبع الغزاة واسترجع ما بأيديهم لتقص النساء ما حدث للرجال عند عودتهم وما كان من شجاعته ونخوته فاكبروا مقامه وأجلّوا شخصه أكثر

مرض القاسم مرضاً شديداً فأحضر عمه وأخذ يوصيه بوصاياه، وقال: اذا أنا مت فادفني في حجرتي هذه وأجعل على قبري علماً خضراً، هذه الكلمة أثارت الرجل، فقال في نفسه: آن الأوان لأن تخبرني؛ من أنت؟

فقال: يا عم اذا كنت تسأل عن حسبي ونسبي، أنا القاسم ابن موسى بن جعفر، عليهما السلام، فجعل الرجل يضرب رأسه وهو يقول» وا حيائي من أبيك الامام موسى بن جعفر..!

فأوصاه بابنته، اذا صار موسم الحج تحج أنت وزوجتي وتأخذ طفلتي معك وتصل الى المدينة انشاء الله ورسم له الموقع لمنزل أهله وقال ان في تلك الدار أمي فأنزل ابنتي فستدرج وتعرف طريقها.

توفي القاسم، عليه السلام، هناك مظلوماً غريباً، وقد نفّذ عمّه الوصية، وبنى على قبره قبّة، ونصب عليها علماً أخضراً. وتشير المصادر التاريخية أن وفاته، عليه السلام كانت في أوائل شهر ذي الحجة عام ١٩٠ للهجرة، أي في نهاية خلافة هارون العباسي، وسافر عمّه لأداء مناسك الحج، وأخذ حفيدته معه (ابنة القاسم)، ومن هناك لينفذ وصية القاسم، عليه السلام، بأن يوصل ابنته الى أهله في المدينة. وكانت طوال الليل وطوال الطريق، تأن وتحن وتتذكر أباها، فلما دخل المدينة وتوجه الى دور بني هاشم، وصل الى باب دار عالية، فسأل: لمن هذه الدار؟ قالوا: هذه دار تخص أولاد و ذراري رسول الله، صلى الله عليه وآله، ولكن ما فيها إلاّ أرامل وأطفال، فبعد

أن طرق الباب، فُتحت له، عندها أنزل الطفلة، فأخذت تدرج وتدلف الى داخل الدار، فاجتمعن النساء حولها، فجاءت أم القاسم، عليه السلام، وجعلت تتطلع الى شمائلها وعلمت من خلال شمائلها، أنها ابنة ولدها القاسم. وهكذا تتكرر حادثة أخرى من تاريخ الانبياء مع هذا السيد الزكي والولي الصالح. فكما استشعر نبي الله يعقوب ريح ابنه يوسف من قميصه، استشعرت أم القاسم، ريح ابنها من خلال ابنته.

أصبح بعد ذلك قبر القاسم مزاراً يحكي معاناة هذا السيد المظلوم، وقد ظهرت في قبره الكثير من الكرامات دونها بعض الكتاب في مؤلف مختصر، وفي هذا الاطار هناك قصيدة جميلة للخطيب الشيخ محمد علي اليعقوبي وكانت له حاجة وقضيت ببركة السيد المظلوم، القاسم بن الامام موسى بن جعفر، والقصيدة طويلة:

يا سعد دع ذكر الاولى قد أغضبوا
أحمد في عترته لما مضى
فيا بنفسي وبأهلي أفتدي
سليل موسى وأخ المولا الرضا
القاسم الندب الذي في وجهه
سنا النبي والوصي قد أضا
ذاك الذي فيه وفي آبائه
جميع حاجات البرايا تقتضى
لم أنسه في كل حي خائفاً
لم ير إلا شانئاً ومبغضاً
حتى قضى ما بين قوم
ما دروا انه ابن فاطم والمرتضى

* مدينة القاسم والروضة المقدسة

ناحية القاسم من النواحي المهمة وتتبع في التقسيمات الادارية الى محافظة بابل، وتقع في منتصف الطريق بين مدينة الديوانية والحلة، يحدها شمالاً قرية «المعيمرة» وشرقاً ناحية «المدحتية»، وغرباً ناحية «الكفل»، ويبلغ عدد نفوسها (٢٠٠) الف نسمة. سكن مدينة القاسم في أواخر العهد العثماني أسر قليلة ثم توسعت في العهد الملكي، واخذت بالتوسع في العهد الجمهوري حتى وصلت الى ما هي عليه في الوقت الحاضر.

أما عن عمارة المرقد الشريف، فقد مرّ بمراحل متعددة يذكرها الباحث محمد علي محي الدين، حيث يذكر الى ان المصادر التاريخية لم تشر الى تأريخ العمارة الاولى للقبر الشريف، ولا نعلم عن طرازها وطريق بنائها ، أما العمارة الثانية فكانت في القرن الرابع الهجري، وامتد بقاؤها حتى القرن الخامس الهجري ٣٣٤-٤٤٧هـ في العهد البويهي، وهي العمارة التي أشار اليها العلامة جواد شبر.

اما العمارة الثالثة فقد كانت عمارة القرن السادس، وبقيت حتى القرن السابع ، ذلك أن مشهد القاسم، عليه السلام، كان مشيداً قبل العهد الصفوي، وقد أقامت حوله مجموعة من الاسر العلوية، لعلها من بقايا اهل «باخمرا» والعمارة الرابعة في القرن التاسع الميلادي، في العهد الصفوي سنة ٩١٤هـ ويصف لنا الشيخ محمد حرز الدين، العمارة التي وقف عليها سنة ١٣٢٥هـ ويعود عهدها الى اواخر القرن الثالث عشر الهجري فيقول: كان لمرقده الشريف حرماً سميك الدعائم ضخم البناء متوسط السعة والاساطين الى جنبه رواق للزائرين عليه قبه بيضاء، وكان فوق قبره شباكاً خشبياً أثري الصنع. وفي عصرنا الحاضر، وتحديداً في سنة ١٣٢٥هـ تصدى العالم الجليل السيد محمد، نجل العالم الجليل السيد مهدي القزويني، لإصلاح الحرم و إنشاء شباك جديد مكسو بالفضة ببذل من الشيخ خزعل الكعبي امير ولاية «عربستان» وفي سنة ١٣٤١هـ /١٩٢٢م بني حول المرقد صحن واسع كبير فيه الغرف وامامها أواوين لتكون مأوى للزائرين والوفود، وكان بناؤها من اموال جمعتها القبائل المجاورة للمرقد لغرض سد الغرامات الملقاة عليهم من السلطة الحاكمة بعد فشل ثورة العشرين، لما عدلت السلطة عن اخذها أجمع رأيهم على صرفها في بناء هذا الصحن الكبير للمرقد الشريف.

وفي سنة ١٣٤١ هـ/١٩٤٩م كُسيت القبة البيضاء بالقاشاني الازرق بسعي من الحجة الشيخ قاسم محي، الذي كان وكيلاً للسيد ابي الحسن الاصفهاني في المدينة، وقد سعى حينها الى شراء ماكينة لتوليد الكهرباء خاصة بالمرقد الشريف ، والى اعمال اخرى تخدم الحرم المطهر وزائريه .

وفي سنة ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠م أمر المرجع الديني الراحل السيد محسن الحكيم - قدس سره- بتأسيس مكتبة عامة في الصحن الشريف وهي أول فرع من فروع مكتبته العامة في النجف الاشرف، وكان وكيله في المدينة السيد محمد تقي الجلالي الذي بسعيه شيدت حسينية كبيرة في الجانب الغربي الشمالي من الصحن وتم ايضا تحويل ما بقي من خان الوقف المجاور للصحن، الى حوزة دينية لرواد العلم والفضيلة، فازدهرت في عهده ، وكثر فيها طلاب العلوم الدينية، لكن جاء اليوم الذي تطبق فيه السلطة البعثية الغاشمة على هذا النشاط الحضاري والعلمي، وتعتقل السيد الجلالي ثم تحكم عليه بالاعدام، مما أسفر عن اغلاق الحوزة ، وتفرق طلبتها.

وفي أواسط التسعينات كانت هناك جهود لبعض الاخيار لتطوير الصحن والمرقد الشريف، منهم الحاج حسين عبود وكاظم عمّاش الذين قاموا بجمع التبرعات والاشراف على اعمال البناء ، وتوسع العمل توسعاً كبيراً، وبنيت قبة كبيرة كُسيت بالذهب .

ويبقى الامام القاسم ملاذاً آمنا تهوى اليه قلوب المؤمنين، فهو سليل لعترة طاهرة. كيف لا.. وهو بحق خير خلف لأطهر سلف، و هو الذي قال فيه الامام الرضا عليه السلام: «من لم يستطيع زيارتي، فليزر أخي القاسم».

المزارات الشيعية .. العِبرة والعَبرة

* علي جواد

تنتشر في أرجاء العالم الاسلامي مزارات ومشاهد تمثل حلقات مضيئة من تاريخنا، حيث تختزل في مكان واحد، المواجهة المحتدمة بين الحق والباطل، وبين الفضائل والرذائل. وعندما نجد القلوب تهفو الى هذه الأماكن، نعرف أن الانتصار واضح للحق والفضيلة، لذا فان الزائر الذي يحمل مشكلة أسرية واجتماعية تضيّق عليه صدره وتعكّر مزاجه، يجد أنه يقف أمام حلول عديدة بفضل تلك القيم والمفاهيم التي تضمها تلك المشاهد. كذلك اذا كان يعاني مشكلة مع النظام الحاكم، فانه يجد نفسه منتصراً، لانه – ببساطة – مظلوم وليس ظالماً. هذا فضلاً عن الحاجات المستعصية التي يعجز عنها الطبيب والمحامي وحتى المال احياناً، فتكون بعض هذه المزارات بمنزلة الملاذ الأخير للكثير من المحبين والمؤمنين لقضاء حوائجهم وتحقيق أمانيهم.

وعندما نجول بنظرنا على الخارطة، نجد أن بلاداً بعيدة جداً عن العراق وايران، تضم مراقد لأولاد رسول الله صلى الله عليه وآله، او لأولياء صالحين، من المقربين للأئمة المعصومين، عليهم السلام، مثال ذلك «بي بي حكيمة» في جمهورية اذربيجان، وهي شقيقة السيدة «فاطمة المعصومة» ابنة الامام الكاظم، عليه السلام، او مرقد «مالك الأشتر» في الاردن، او المزارات والمشاهد المقدسة الموجودة في سوريا ولبنان. كلها تؤشر على قضايا عادلة مات هؤلاء دونها، مما يشجي النفوس ويعتصر القلوب ويستدر الدموع. واذا كنّا على هذه الحالة فيما مضى من الزمن، حيث نستذكر تلك المواقف البطولية والملاحم التي سطروها أمام الاعداء، قبل أن يقضوا نحبهم في مواجهة غير متكافئة، فنحن اليوم في وضع آخر عندما نزورهم ونستذكرهم، فقد تضاعف الأسى مرات عديدة، لاسباب أهمها؛ ظهور امتداد لحقبة الظلم والطغيان والانحراف الأموي والعباسي متمثلاً في الجماعات التكفيرية والارهابية الدموية، التي تجد هذه المزارات بمنزلة المنطلق الذي تصدر منه شرارة الانفجار في وجوههم، لذا يحاولون إبعاد الناس عنها بمختلف الاساليب، سواءً بالترهيب أو النسف والتدمير، او نشر الاكاذيب والتشكيكات حولها.

والسبب الآخر يعود الينا نحن، وليس الغرباء من خارج البيت الشيعي. هو عدم الاهتمام والجدّية بهذه المزارات، بل عدم إدراك اهميتها و ابعادها الحضارية في حياة الأمة. ولعل الأخطر في الأمر ان يتصور البعض أن الصحيح لديه هو حصر هذه المزارات في إطار «السياحة الدينية»، فإن كانت ثمة فائدة ترتجى – حسب هذا التصور– فهي في تحويلها الى مناطق جذب سياحي، كأن تشيّد حولها الحدائق الغنّاء، والمطاعم والفنادق والمسابح وحتى صالات الاحتفال...! ثم يكون المرقد وسط هذا الصخب السياحي، مثل تحفة تاريخية جميلة، تصلح لالتقاط الصور التذكارية!

ومع عدم معارضتنا لأي تجميل وتوسعة للمراقد والمزارات المقدسة بحيث تخدم الزائر وتجعله مكتفياً من الناحية الخدمية، لكن يجب أن لا ننسى أننا امام دروس وعبر تاريخية، تفيد لحاضرنا ومستقبلنا، فالمراقد التي تحمل قصصاً وحكايات شجيّة ومثيرة، مثل قصة «أولاد مسلم»، أو قصة «سعيد بن جبير»، أو قصة «حجر ابن عدي»، أو قصص أولاد الأئمة المعصومين المنتشرة مراقدهم في ايران والعراق، لا يجب أن تنحصر في هذا الاطار الضيق والعاطفي، إنما تمتد في العقول والاذهان، ليتدبر في أمرها الزائر، ويسأل نفسه عن السبب الذي دفع هؤلاء لأن يواجهوا الظلم والطغيان، وربما البعض منهم، مات ولم يواجه السلطة بشكل مباشر، مثل «عبد العظيم الحسني» المدفون في منطقة «ري» جنوب طهران، فما الذي أتى به من المدينة الى ايران، ليستقر في «ري»، وحسب المصادر التاريخية، فان هذا السيد الجليل، لم يمض سوى أربعين يوماً في «ري» قبل أن توافيه المنية ويدفن هناك.

> مع عدم معارضتنا لأي تجميل وتوسعة للمراقد والمزارات المقدسة بحيث تخدم الزائر وتجعله مكتفياً من الناحية الخدمية، لكن يجب أن لا ننسى أننا أمام دروس وعبر تاريخية، تفيد لحاضرنا ومستقبلنا

هذه المعلومات والتفاصيل لن تنتظم إلا بوجود موسوعة معرفية متكاملة عن المزارات الشيعية في العالم أجمع، تشرف عليه مؤسسة عالمية تأخذ على عاتقها تدوين وتنظيم ثم نشر سيرة حياة هؤلاء الأولياء الصالحين بين اوساط الأمة، بل والعالم بأسره، وذلك بالاستفادة من أحدث الوسائل الفنية والتقنية، ليعرف العالم أن هنالك أناساً ضحوا براحتهم و بأموالهم وحياتهم من اجل أن يبقى الآخرون بعيدين عن التضليل والانحراف والجهل.

قراءة في كتاب:
المنتقى من تفسير من هدى القرآن

إعداد / هيأة التحرير

صدر حديثاً عن دار الحجة البيضاء في بيروت كتاب «المنتقى من تفسير من هدى القرآن»، لمؤلفه سماحة آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي - دام ظله-، والواقع في ستة أجزاء من القطع الكبير.

في البدء، تطل على القارئ الكريم والمتصفح للجزء الاول من هذا المنتقى التفسيري، مقدمة، خطها يراع سماحة المؤلف، وهو يحلق بكلماته الطيبة في الآفاق البعيدة لآيات الله قائلاً: «القرآن نور في القلب، وهدى على الدرب، وسلطان لمن اعتمده، وأمان لمن لجأ إليه، وصلاح لمن إنتهجه، وفلاح لمن عمل به، و وسيلة قربى من رب العالمين».

ثم يضع سماحته لمساته الطيبة لتعرية ثقافة «الهجر» القرآني من قبل أغلب المسلمين، بالقول: «وعندما هجر أغلب المسلمين بصائر القرآن وحقائقه، رانت قلوبهم، واحتجبت عقولهم، وخارت عزائمهم، وأحاط السبات بحضارتهم، وكان حظهم الأكدى من الدنيا والآخرة»، الا ان سماحته يستدرك منوهاً: «وإن هم شاؤوا النهضة بعد هذا الرقاد الطويل، واللحاق بركب التقدم في الحياة، فما عليهم الاّ العودة الى القرآن الكريم لكي يتدبروا فيه، و:

أولاً: يوقظوا به ضمائرهم، ويشحذوا بآياته عزائمهم، ويستنهضوا ببصائره تطلعاتهم.

ثانياً: ثم يستثيروا عقولهم ويستنيروا بمناهجه سبل التفكر السليم.

ثالثاً: وليجعلوا من أحكامه محور وحدتهم ومرجع خلافاتهم، ويتخذوا من شرائعه أنظمة حياتهم، ومن وصاياه مناهج أخلاقهم، ومن حكمه وعبره روح مجتمعهم».

ثم يبين سماحته دواعي «المنتقى» هذا بالقول: «وعندما وفقني الرب قبل حوالي عقدين من الزمن بالتدبر في القرآن الكريم، وأفاض سبحانه عليَّ من بصائره ما سطرته في موسوعة «من هدى القرآن» وأستقبل بترحاب من قبل المؤمنين، دعاني البعض لإختصاره بما لا يضرّ بجوهر ما فيه، فقام بذلك بعض الأخوة، وها هو قد تهيأ للطباعة بفضل الله أولاً ثم بجهود الأخوة الكرام».

اما قصته «المنتقى» وفكرة ولادته الميمونة، يتحدث عنها «مركز العصر» للثقافة والنشر في بيروت، والذي كان له الدور الكبير في تحقيق هذا التفسير الجديد، قائلاً: انبرى العلماء والمفكرون يكتبون التفاسير تلو التفاسير من أجل تقريب القرآن الى الأذهان، وقد رأى البعض ضرورة ايجازها لتتاح لأكبر شريحة ممكنة من القراء، ومن جملة هذه الموسوعات التفسيرية، تفسير «من هدى القرآن».

ثم يوضح المركز قائلاً: عندها رحنا نبحث عن طرق أخرى للاختصار، وقد قُدِّمت عدة مقترحات في هذا الخصوص، وقد اتفق الجميع على اقتراح يحفظ التفسير من الإخلال بمحتواه ويصونه من الاختزال، وذلك بالابقاء على أصل التفسير المدوّن تحت عنوان «بينات من الآيات»، من دون «بحوث تمهيدية» في مقدمة التفسير، اذ يمكن للقارئ الكريم اذا أراد الرجوع إليها أن يطالع كتاب «بحوث في القرآن الكريم»، للسيد المؤلف، كما وقد ألغينا «الإطار العام» لكل سورة عن هذا التفسير، ونرجع القارئ اذا اراد الاطّلاع على محتواه الى كتاب «مقاصد سور القرآن الكريم»، للسيد المؤلف، كما تم إلغاء «فضل السورة»، اذ يمكن للقارئ الكريم الوقوف عليها في كثير من الكتب الحديثية والتفسيرية.

ولم يفت سماحة السيد المرجع المدرسي ان يهدي ثواب هذا «المنتقى» الى روح زوجته الراحلة «أم صالح» - رحمها الله- كما فعل في موسوعة التفسير الأولى- حيث يقول سماحته: «أهدي ثواب كتابي هذا الى روح زوجتي الوفية «أم صالح» التي إختطفتها المنية في شبابها، تقديراً لمساعدتها إياي على صعوبات الحياة، واسأل الله العلي القدير أن يتغمدها برحمته الواسعة».

«المنتقى».. جدير بانتقائه من قبل رجال العلم والمعرفة وطلاب التأمل والتدبر في كتاب الله العزيز، لاسيما وانه حافل بما يقارب الـ(٥٠٠) صفحة في كل جزء من اجزائه الستة، بالبصائر والرؤى التغييرية في مسيرة نهضة الأمة واعادة صياغة شخصية ابنائها من جديد.

ما بعد الزيارات المليونية

*** علي داشي الخفاجي - كربلاء المقدسة**

الكثير من الزيارات المليونية في كربلاء المقدسة، نستقبلها والأخرى نودعها، لكن ما الواجب علينا تجاه التي نودعها وكأنها تمر مر السحاب؟ وما علينا تجاه التي تُقبل علينا وهي محملة بالدروس والعبر ؟

هناك الكثير من الذين يُجيون هذه الزيارات المليونية، والقليل ممن يستغلها على أحسن وجه ممكن. ولكن كيف تمكن هؤلاء من الاستفادة الصحيحة منها؟ ثم لماذا يكون هنالك القليل ممن تمكن منها؟

ان سبب عدم استفادة البعض من هذه الزيارات المليونية، يعود الى عدم وجود الفهم المتكامل، وعدم الإحاطة بمراسيم الزيارة، وايضاً المقصود بالزيارة، فيبقون متمسكين بالظواهر والقشور، تاركين المحتوى مما يجعلهم لا يفهمون معناها بشكل صحيح، وتراهم يستقبلونها بشكل روتيني، لا يحاولون الاستفادة منها في تغيير ما بأنفسهم وايضاً مجتمعهم.

بينما يكمن سر أولئك القلّة المستفيدين، في فهمهم وتقييمهم الصحيح لمسألة الزيارة لمرقد الامام الحسين، عليه السلام، فتراهم يحيطون بها - الزيارة المليونية - إحاطة كاملة، ويفهمونها فهماً متكاملاً، ويعرفونها كما يعرفون انفسهم، وتراهم يستعدون لها استعداداً نفسياً ومادياً، ويعدون لها برنامجاً خاصاً، لذا تراهم يقفون بقوة أمام كل الحواجز التي تريد ان تحجبهم عنها بكل ما أوتوا من قوة قيم ومفاهيم من مدرسة الامام، عليه السلام.

ان الزيارات المليونية التي تشهدها كربلاء المقدسة، في مناسبات عديدة، تمثل محطات تزود النفوس بشحنات ايمانية ومعنوية، من حب وعطاء وكرم وجود وعطف وحنان، كما أنها تروض النفوس وتنقي القلوب من الشوائب العالقة. هذه الدرجة العالية من التفاعل مع الزيارات المليونية، تحتاج لمن يمثلها ويجسدها في المجتمع، وخير من يكون هم طلبة العلوم الدينية، لأن هؤلاء يمثلون قاعدة الثقافة والوعي الديني في المجتمع، ولولا هذه القاعدة كيف يمكن ان نطالب بمعرفة قيمة الزيارة ومنزلة صاحبها.

من هنا، ينبغي على طلبة الحوزات العلمية، ان ينشروا الثقافة الحسينية و يبثوا الوعي بين الناس، ويقووا دوافع الناس و يزيدوهم وعياً بهذه الشعائر لتتضح لهم بالشكل الصحيح، ويتمكنوا من المواصلة معها بروحية عالية.

أما طلبة المدارس والجامعات، فهم ليسوا بعيدين عن هذا الدور الريادي، فعليهم أن يعززوا وجودهم في هكذا مناسبات حسينية ودينية من شأنها ان تعزز الروح الايمانية في نفوسهم، لنأخذ مثلاً زيارة النصف من شعبان، وزيارة «عرفة»، فانها مليئة بالمعارف والقيم الاخلاقية والانسانية، التي تحصن الانسان عن التيه والضلال بين الافكار الوافدة والزائفة.

ولا ينسى اصدقاؤنا الطلبة، أن الدراسة الاكاديمية لن تكون كافية في إغناء الانسان بالمعارف و الافكار الأصيلة. لذا عليهم ان يكثفوا تواجدهم في أوساط اقرانهم من طلبة العلوم الدينية، للاستفادة مما توصلوا اليه من حقائق ومعارف من معايشتهم للثقافة الدينية والحسينية، فالخط الحسيني الواضح الذي يكون ممتلئاً بالنور والهداية لا يكون فيه مجال للجهل والظلام، حينها يفهم الطالب ما عليه من واجبات تجاه نفسه وتجاه ابناء مجتمعه من خلال مشاركته الفاعلة في هذه الزيارات المليونية.

من هنا؛ فان أصدقاءنا الطلبة مدعوون لاستقبال مواسم الزيارات المليونية في كربلاء المقدسة، وربما كل ليلة جمعة، تكون فيها القلوب والهة ومتوجهة صوب المرقد الشريف، و يهيئوا انفسهم للاستفادة من هذه النفحات الروحانية، فهي فرص تمر علينا كالسحاب، يجب ان نقتنصها لا أن نضع الشروط والحواجز أمام المشاركة والتفاعل، لأن الطاقة التي نأخذها من هذه الاجواء تساعدنا على مواجهة المستقبل بما فيه من عراقيل، وبكل جدارة. والأهم من ذلك، تطبيق الدروس والعبر التي نستلهمها من هذه الزيارة، في حياتنا اليومية وكذلك في مسيرتنا العلمية.

الحرب دمار.. والحوار إعمار

*** حسن الحسني**

لاشك أن الامم المتحضرة والشعوب المتقدمة تبني سلّم مجدها ومجد ابنائها عبر قنوات الحوار والتفاهم، ذلك لأن الحوار يرسل للآخر رسالة الاحترام والتقدير، وهو الاساس في زرع الثقة المتبادلة ومن ثم تحقيق المطالب.اما اللجوء الى خيار التشنّج والشحن النفسي والعاطفي والذي يرافقه التحقير والاساءة، بل الى «إلغاء» الآخر، كوجود عبر كلمات غير لائقة وغير مهذبة، يُعد هذا الخيار بمثابة اطلاق رصاصة الرحمة على الذات اولا وأخيرا.

إن ما حصل من أحداث مؤسفة في المناطق الغربية من العراق وخلال عام كامل؛ من رفع لافتات ونصب خيام و زرع بؤر ساخنة وقد رافقها – مع الاسف- نيل من عقيدة شعب مقتدر وبطولات مشرفة و قتل أبرياء من حماة الوطن في ساحات سُميت بـ «ساحات الاعتصام».. وغيرها من تصرفات غير مهذبة، أفقدت «شرعية» ما قيل أن هناك مطالب تُعد شرعية..! ينبغي الاستجابة اليها، و زرعت في نفوس العراقيين أظناناً من اوراق وملفات الشك في شرعية و حسن نية القائمين على هذه الاعتصامات.

المواطن العراقي يتساءل: ان الكثير من المطالبات تحققت ومنها الافراج عن المعتقلين والمعتقلات بالشبهة، وتشكلت لجان بهذا الخصوص، إلا انه – كما يبدو- كلما استجابت الحكومة لمطلب تم تصعيد ورفع سقف مطالب جديدة ومنها ما ينافي الدستور، كإلغاء قانون اجتثاث البعث الذي صوت عليه نواب الشعب..!

إن رفع هذه المطالب المخالفة للدستور، وما رافقه من استضافة رموز القاعدة ونعت مذهب الاكثرية الساحقة بعبارات مشينة، مع ملاحظة ان تكاليف اليوم الواحد لمصروف هذه الساحات قدرت بمائة مليون دينار عراقي. أثارت شكوكاً لدى كافة الاوساط بأن اصحاب الساحات هم جماعة مستفيدة ومغرضة ولايهمها مستقبل وبناء هذا البلد، مما حدا بالمسؤولين لحسم الموقف وتحذير وجهاء وعشائر المنطقة الغربية لفض الاعتصامات التي كلفت الدولة مبالغ كبيرة لحمايتها، ناهيك بأن بلداناً بدأت تلمح بوقوفها خلف هذه الساحات، منها ما أعلنه ضابط المخابرات السعودي السابق والداعية «محمد العريفي» بالقول: «ان الغاء الاعتصامات في الانبار يعد كارثة».

و رغم حكمة تصرف قطعات الجيش والشرطة في الانبار وتوافقهما مع وجهاء العشائر، تفاجأ العراقيون بحجم المؤامرة بعد عمليات فضّ الساحات باحتلال مجاميع مرتبطة بما يسمى دولة الاسلام في العراق والشام (داعش) مدن مهمة كالفلوجة والرمادي.

ان ما حصل ينبغي ان يكون درساً لكل العراقيين وبكافة مكوناتهم؛ بأن اعداء العراق الجديد لا يروق لهم استقرار العراق وأمنه وتقدمه، بل يتخوفون بأن يرجع هذا البلد المهم الى الحظيرة الدولية والاسلامية والعربية وبامتياز، وأهم من ذلك خشية الاعداء ان يكون العراق نموذجاً يحتذى به من قبل ابناء المنطقة على صعيد التحول السياسي والاحتكام الى صناديق الاقتراع، لاسيما أن يقود اتباع مذهب أهل البيت، عليهم السلام، هذا التحول الثقافي والسياسي في عموم المنطقة.

ان العراقيين لاسبيل لهم إلا اللجوء الى الحوار لحل أزماتهم ومشاكلهم الداخلية، ولا يمكن لأي دولة مهما قربت او بعدت ان تكون أحنّ وأحرص من العراقيين على أنفسهم وبلدهم. ويبقى على ابناء المنطقة الغربية ان يشمروا عن ساعد الجدّ لطرد الارهاب واقتلاع جذوره وحواضنه من أرضهم والى الأبد، و يبدأوا مشوار المطالبة الجادة وعبر قنوات ممثليهم بالبرلمان و الحكومة لإعمار مناطقهم وتقدمها نحو الأفضل، بالاستفادة من كل الفرص المتاحة من زراعة وصناعة وغيرها.

النبي الخاتم .. شمسٌ مضيئة في طريق الأمة

مجموعة مؤلفات

سماحة المرجع الديني آية الله العظمى الحاج السيد محمد تقي المدرسي دام ظله

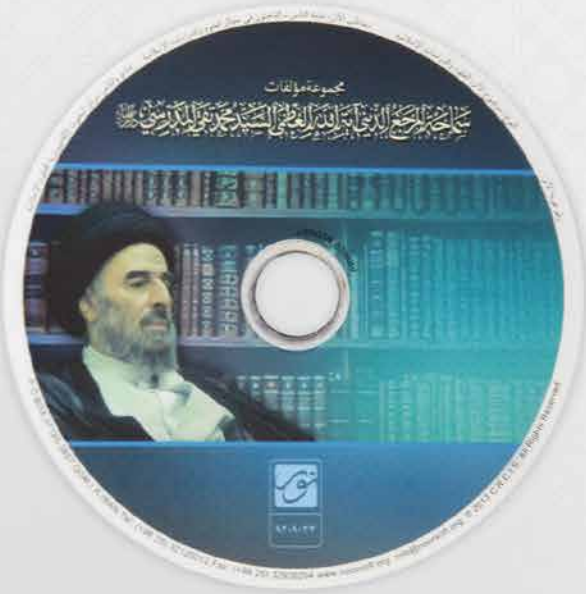

سيكون بامكانكم الوصول الى مكتبة رقمية تضم مجموعة من مؤلفات سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي (دام ظله)، في قرص (سي دي) واحد، من انتاج مؤسسة الابحاث الكمبيوترية للعلوم الاسلامية، «نور».

تضم هذه المكتبة الرقمية (١٤١) عنوان كتاب في (١٨٣) مجلد، تتوزع على حقول التفسير والتدبر في القرآن الكريم، والفقه، والأصول، والفكر، والثقافة.

مراكز التوزيع:

العراق: النجف الأشرف، سوق الحويش، مكتبة البصائر: ٠٠٩٦٤٧٨٢٣٦٩٣٨٣٨

ايران: طهران، دار محبي الحسين عليه السلام: ٠٠٩٨٢١-٣٣٩٠٧١٨١

ايران: قم المقدسة، مؤسسة الابحاث الكمبيوترية للعلوم الاسلامية، «نور»: ٠٠٩٨٢٥٣٢١٢٠١٨٢